المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
ECSS
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

ورقـــة بحثيـــة

كيف يواجه لاهوت التحرير الفلسطيني سردية سياسية-دينية زائفة؟

الكنائس الشرقية في مواجهة الصهيونية المسيحية

13-1-2026

ملخص تنفيذي

في دراسته المرجعية حول المواقف المسيحية من دولة إسرائيل، يوضح بول تشارلز ميركلي، أن الدعم المسيحي لإسرائيل لم يكن يومًا موقفًا كنسيًا عامًا أو امتدادًا طبيعيًا للتقليد المسيحي التاريخي، بل ظاهرة حديثة نسبيًا، تشكلت في سياق سياسي وثقافي أمريكي محدد. لذلك، تعد الصهيونية المسيحية تيارًا إنجيليًا ضيقًا يختلف تمامًا عن مواقف المسيحية عمومًا والكنائس الشرقية التقليدية خصوصًا التي تحرص على عدم ربط الدين بالسياسة، خوفًا من استغلال الدين لأغراض سياسية. في مواجهة هذا، يقدم لاهوت التحرير الفلسطيني والكنائس الشرقية قراءة جديدة للنصوص الدينية ترفض استخدام الدين لتبرير الاحتلال أو الظلم، وتدعو إلى العدالة والكرامة لكل الناس، متحديًا بذلك السردية الزائفة التي تحاول تقديم الاحتلال الإسرائيلي على أنه تحقق لوعود دينية.

نشأت الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة كجزء من حركة لاهوتية تدعى «اللاهوت التدبيري» التي بدأت في القرن التاسع عشر، وركزت على تفسير حرفي للنبوءات التوراتية التي تربط عودة اليهود إلى فلسطين بعودة المسيح ونهاية العالم. هذه الأفكار لم تكن جزءًا من المسيحية التقليدية، لكنها وجدت قبولًا واسعًا في أوساط البعض من المجتمع الإنجيلي الأمريكي، خاصة بعد نشر نسخة «الكتاب المرجعي لسكوفيلد» عام 1909 التي أضافت تفسيرات تعزز هذا التوجه، مما أسس لاهوتًا متماسكًا يرى في قيام دولة إسرائيل تحقيقًا لنبوءات دينية.

مع مرور الوقت، تطورت الصهيونية المسيحية من مجرد قراءة دينية إلى قوة ضغط سياسية مؤثرة في الولايات المتحدة، خاصة مع صعود اليمين «الديني» في السبعينيات والثمانينيات، حيث أصبح دعم إسرائيل معيارًا للولاء الديني والسياسي داخل الحزب الجمهوري. وساهم تأسيس منظمات مثل «Christians United for Israel» عام 2006 في دمج الخطاب الديني مع السياسة الأمريكية، مما جعل للصهيونية المسيحية دور بارز في صياغة السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط، وتأثير مباشر على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

ويشكل هذا التحول من منظور الكنائس الشرقية في الشرق الأوسط تهديدًا حقيقيًا، لأن الصهيونية المسيحية لا تقدم مجرد دعم سياسي لإسرائيل، بل تفرض تفسيرًا لاهوتيًا يحول الصراع إلى جزء من خطة إلهية لا تقبل النقد. كما أن هذا التيار السياسي والديني يتجاهل وجود المسيحيين العرب وحقوق الفلسطينيين، ويعزز تحالفًا مع اليمين الإسرائيلي الذي يرفض الحلول العادلة، ما يدفع الكنائس الشرقية إلى رفض هذا الخطاب باعتباره اختطافًا للإيمان المسيحي لصالح أجندة جيوسياسية بعيدة عن العدالة والإنسانية.

لم يقتصر الخلاف بين الكنائس المسيحية الشرقية والصهيونية المسيحية الأمريكية على الموقف من إسرائيل أو على تقييم حرب بعينها، بل سلط الضوء على التباين العميق في فهم العلاقة بين النص المقدس والتاريخ. هذا الفارق يصل إلى الرؤية المتناقضة للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، رغم انطلاقهما من نفس النصوص المقدسة. فالصهيونية المسيحية تعتمد تفسيرًا حرفيًا ونبوئيًا يرى في قيام دولة إسرائيل تحقيقًا حتميًا لوعد إلهي أبدي، مما يجعل الصراع جزءًا من خطة إلهية لا يجوز مساءلتها أخلاقيًا أو سياسيًا. في المقابل، تنظر الكنائس الشرقية إلى النص المقدس كدعوة للعدل والإنسانية، وترى أن وعد الأرض مرتبط بالسلوك الأخلاقي ولا يمكن فصل التاريخ المقدس عن الحقوق والكرامة الإنسانية. لذلك، تعتبر الاحتلال نقيضًا للقداسة، وترفض أي قراءة دينية تبرر الظلم أو الإقصاء، مما يعطي الصراع رؤية لأبعاده الإنسانية والتاريخية وليس مجرد تحقيق نبوءة أو وعد إلهي.

من الناحية السياسية، ترى الصهيونية المسيحية في الدولة الإسرائيلية حليفًا دينيًا واستراتيجيًا، وتعرضها كجزء من معركة كونية بين الخير والشر. وبالتالي، فإن التفوق العسكري والأمني دليل على الشرعية والرضا الإلهي، مما يبرر الحروب بوصفها مراحل ضرورية في خطة إلهية مقدسة. في المقابل، تنطلق الكنائس الشرقية من فهم مختلف جذريًا للدولة؛ فهي ترى الدولة ككيان بشري زمني يخضع للمساءلة ولا يمتلك قداسة دينية، وترفض استخدام الإيمان لتبرير العنف أو الاحتكام إلى السيطرة السياسية، مؤمنة بأن ملكوت الله لا يختزل في دولة قومية بل في إقامة العدل.

منذ البداية، أدركت الكنائس في الشرق الأوسط أن الخطر الحقيقي في الصهيونية المسيحية لا يكمن فقط في دعمها المطلق لإسرائيل، بل في خلطها المتعمد بين الدين والسياسة، بحيث أصبح أي نقد للاحتلال أو لانتهاكات حقوق الإنسان كأنه عداء لليهود أو كراهية دينية. لذلك حرصت الكنائس على التمييز الواضح

بين اليهودية كديانة وجزء من تاريخ المنطقة، وبين الصهيونية كمشروع سياسي حديث، وبين الصهيونية المسيحية كتوظيف للمسيحية نفسها لخدمة أجندة سياسية. هذا التمييز سمح لها بتأكيد أن الصراع في فلسطين ليس صراع أديان، بل قضية عدالة وحقوق، وأن نقد الصهيونية أو سياسات إسرائيل موقف سياسي مشروع لا علاقة له بمعاداة السامية. وقد عبرت وثائق مثل «كايروس فلسطين» عام 2009 عن هذا الموقف بوضوح، حين أدانت معاداة السامية كخطيئة أخلاقية، وفي الوقت نفسه أدانت الاحتلال كخطيئة سياسية وروحية، مؤكدة أن الدفاع عن العدالة للفلسطينيين لا يتناقض مع الاعتراف بآلام اليهود التاريخية، بل يقوم على مبدأ واحد: أن الظلم لا يمكن تبريره باسم الدين أو التاريخ.

وبعد صدور وثيقة «كايروس فلسطين» عام 2009 خرجت مواجهة الصهيونية المسيحية من الإطار المحلي الضيق، وأصبحت قضية كنسية إقليمية وعالمية. لعب فيها مجلس كنائس الشرق الأوسط دورًا أساسيًا في هذا التحول، حين تعامل مبكرًا مع الصهيونية المسيحية بوصفها ظاهرة سياسية ولاهوتية مرتبطة بتاريخ الاستعمار الغربي، لا تعبيرًا أصيلًا عن الإيمان المسيحي. وقد حذر المجلس من أن هذا التيار لا يهدد الفلسطينيين فقط، بل يضعف الوجود المسيحي العربي نفسه ويشوه صورة المسيحية، لأنه يخلق اصطفافًا دينيًا يقصي المسيحيين المحليين من أرضهم. الأمر الذي ساعد على توحيد خطاب كنائس المنطقة، ومهد لظهور وثائق جماعية لاحقة أكثر وضوحًا وتأثيرًا.

رغم كل هذا الجهد، لم يؤد تدويل الخطاب الكنسي إلى تغيير الواقع السياسي على الأرض. حيث يظل تأثير هذا الخطاب محدودًا في دوائر صنع القرار السياسي. في المقابل، تحقق إنجاز آخر: لم تعد الصهيونية المسيحية قادرة على الادعاء بأنها تمثل الموقف المسيحي العالمي. وأصبح هناك صوت كنسي دولي واضح يقول إن دعم الاحتلال باسم الدين يتعارض مع جوهر المسيحية. وبهذا، نجح مجلس كنائس الشرق الأوسط في نقل المواجهة من إطار محلي ضيق إلى نقاش عالمي واسع حول العلاقة بين الدين والسياسة، وبين الإيمان والعدالة وحقوق الإنسان، حتى إن لم يترجم ذلك بعد إلى تغيير سياسي مباشر.

ولمواجهة الصهيونية المسيحية، تعاملت الكنائس الشرقية مع اللاهوت ليس كخطاب وعظي مجرد، بل كمسئولية أخلاقية لها حضور في المجال العام. فإدراكها لضعف نفوذها السياسي دفعها إلى اعتماد أساليب غير صدامية، مثل الدبلوماسية الكنسية الهادئة، والتواصل مع كنائس ومؤسسات دولية، لشرح أن الخطر الحقيقي يكمن في استخدام الدين لتبرير الظلم. كما عملت على كسر الصورة النمطية التي

تروجها الصهيونية المسيحية عبر تنظيم زيارات ميدانية لرجال دين ولاهوتيين غربيين، وتقديم رواية تقوم على المعايشة لا على الشعارات، والاطلاع على واقع الحياة تحت الاحتلال. هذه الزيارات هدفت إلى تفكيك الصورة النمطية التي تروج لها الدعاية الدينية الصهيونية. وفي الوقت نفسه، راهنت الكنائس على أدوات سلمية طويلة الأمد، مثل التعليم اللاهوتي النقدي والمقاطعة الأخلاقية، باعتبارها وسائل تهدف إلى تغيير الوعي والسلوك لا إلى الانتقام.

وعلى الرغم من الوضوح اللاهوتي، والثراء الأخلاقي، والشرعية التاريخية التي تتمتع بها الكنائس في الشرق الأوسط، فإن مواجهتها للصهيونية المسيحية تظل غير متكافئة على المستويين السياسي والإعلامي. بسبب غياب النفوذ السياسي المباشر. فالكنائس الشرقية، بحكم موقعها الجغرافي والسكاني، لا تمتلك أدوات ضغط داخل مراكز صنع القرار الأمريكية، حيث تتجذر أفكار الصهيونية المسيحية داخل التحالف الانتخابي المحافظ. وفي النظام السياسي الأمريكي، تكافأ القدرة على الحشد الانتخابي والتمويل، لا قوة الخطاب الأخلاقي. وبالتالي، حتى أكثر الوثائق الكنسية تماسكًا لا تجد طريقها بسهولة إلى دوائر صنع القرار. بالإضافة إلى الفجوة الإعلامية الهائلة. فالصهيونية المسيحية تتحرك داخل منظومة إعلامية ضخمة تشمل قنوات تلفزيونية دينية، منصات رقمية، مؤتمرات جماهيرية، وشخصيات كاريزمية تتحدث بلغة بسيطة وحاسمة.

وعند تقييم دور الكنائس في الشرق الأوسط في مواجهة الصهيونية المسيحية، يتضح أن المسألة لا تتعلق بانتصار أو هزيمة بالمعنى السياسي المباشر. فالكنائس لم تضعف نفوذ هذا التيار داخل الولايات المتحدة، ولم تغير قرارات الحكومات أو موازين القوة ولكن كسرت فكرة أن الصهيونية المسيحية تمثل المسيحية بشكل عام في الدعم اللا أخلاقي لجرائم إسرائيل. وأصبحت هناك وثائق ومواقف واضحة تقول إن استخدام الكتاب المقدس لتبرير الاحتلال والعنف ليس تعبيرًا عن الإيمان المسيحي، بل تشويه له. كما نجحت الكنائس في إعادة إبراز المسيحي الفلسطيني بوصفه إنسانًا حيًا يعيش الصراع يوميًا، لا مجرد اسم غائب في خطاب ديني غربي يتحدث عن الأرض ويتجاهل أهلها. وبهذا، تحولت فلسطين إلى قضية أخلاقية داخل المسيحية العالمية، لا مجرد ملف سياسي تختطفه أقلية تمزج الدين بالسياسة.

إعداد

عـزت إبراهيم

رئيس وحدة دراسات الأمريكتين بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

يُظهر بول تشارلز ميركلي، في دراسته المرجعية حول المواقف المسيحية من دولة إسرائيل، أن الدعم المسيحي لإسرائيل لم يكن يومًا موقفًا كنسيًا عامًا أو امتدادًا طبيعيًا للتقليد المسيحي التاريخي، بل ظاهرة حديثة نسبيًا، تشكلت في سياق سياسي وثقافي أمريكي محدد بعد الحرب العالمية الثانية. هذا الاستنتاج أساسي لفهم الفارق بين الكنائس الشرقية والصهيونية المسيحية، لأنه ينزع عن الأخيرة صفة تمثيل العالم المسيحي بأسره، ويعيدها إلى إطارها التاريخي الضيق بوصفها تعبيرًا عن تيار إنجيلي أمريكي، لا عن إجماع كنسي عالمي. يشير ميركلي إلى أن الكنائس التقليدية، الكاثوليكية والأرثوذكسية على السواء، تعاملت مع قيام دولة إسرائيل بدرجة عالية من الحذر اللاهوتي والسياسي. هذا الحذر لم يكن نابعًا من عداء لليهود، بل من وعي تاريخي عميق بمخاطر ربط النص الديني بالسيادة السياسية. الفاتيكان، على سبيل المثال، امتنع لسنوات طويلة عن الاعتراف الرسمي بإسرائيل، ليس بدافع سياسي صرف، بل لأن الاعتراف كان يعني ضمنيًا التسليم بقراءة دينية للصراع تُقصي الوجود المسيحي والتاريخي في الأرض المقدسة. هذا الموقف، كما يوضحه ميركلي، يقترب كثيرًا من الحساسية التي عبرت عنها الكنائس الشرقية، وإن اختلفت اللغة والظروف. في المقابل، يبين ميركلي أن الصهيونية المسيحية الأمريكية نشأت خارج هذا التقليد الحذر، وتطورت في بيئة لم تختبر تاريخيًا تبعات تديين السلطة أو تحويل النص المقدس إلى أداة حكم. داخل السياق الأمريكي، جرى التعامل مع قيام إسرائيل بوصفه «حدثًا نبوئيًا»، لا مسألة أخلاقية أو قانونية قابلة للنقاش. هذا التحول جعل من الدولة الإسرائيلية موضوعًا إيمانًا دينيًا، لا كيانًا سياسيًا خاضعًا للمساءلة، وهو ما يفسر الفجوة العميقة بينها وبين الكنائس الشرقية التي ترى في الدولة – أي دولة – كيانًا زمنيًا قابلًا للنقد. رغم ما سبق، انقلب ميزان التأثير داخل المسيحية العالمية. فبينما ظلت الكنائس التاريخية، بما فيها كنائس الشرق، متمسكة بلغة أخلاقية متوازنة تجاه الصراع، نجحت الصهيونية المسيحية، عبر ثقلها السياسي والإعلامي في الولايات المتحدة، في فرض نفسها بوصفها «الصوت المسيحي» الأعلى في الشأن الإسرائيلي. هذا الاختلال في التمثيل هو ما دفع لاهوتيين مسيحيين فلسطينيين لاحقًا إلى تبني خطاب أكثر حدة، في محاولة لمواجهة سردية باتت تُقدَّم عالميًا على أنها التعبير الطبيعي عن الإيمان المسيحي. ساعدت أطروحة ميركلي في تقديم إطار لفهم التحول داخل الكنائس الشرقية نفسها. فهذه الكنائس لم تنتقل إلى نقد الصهيونية من فراغ، بل كرد فعل على هيمنة

خطاب مسيحي غربي أعاد تعريف الأرض والقداسة والتاريخ من منظور النبوءة المغلق، وأقصى التجربة المسيحية المحلية في فلسطين من المشهد. هنا يصبح لاهوت التحرير الفلسطيني بمثابة محاولة لاستعادة الصوت الشرقي داخل مسيحية عالمية جرى اختزالها في قراءة أمريكية واحدة.

لم تنظر الكنائس الشرقية إلى الصهيونية المسيحية يومًا بوصفها مجرد اختلاف لاهوتي داخل العائلة المسيحية، بل باعتبارها انحرافًا خطيرًا في فهم النص المقدس، وانزلاقًا للدين إلى قلب مشروع سياسي-استعماري حديث. ومع حرب غزة، لم يعد هذا الموقف تعبيرًا عن قلق تاريخي أو اعتراض فكري قديم، بل تحول إلى خطاب واضح وصريح، يعكس شعورًا بأن ما يجري لم يعد يحتمل المجاملة اللاهوتية أو الغموض الأخلاقي.

الكنائس الشرقية، بحكم نشأتها الجغرافية والتاريخية، تنتمي إلى مسيحية وُلدت في المكان، ولم تتعامل مع النص وحده. فهي لم تتعامل مع فلسطين باعتبارها فكرة رمزية أو مسرحا لانتظار نهاية الأزمنة، بل باعتبارها مجتمعًا حيًا، تعاقبت عليه شعوب وأديان وثقافات، وكان المسيحيون فيه جزءًا أصيلًا من نسيجه الاجتماعي منذ القرون الأولى. لهذا السبب تحديدًا، بدت الصهيونية المسيحية، منذ ظهورها في السياق الأنجلوساكسوني، قراءة خارج السياق، تفصل النص المقدس عن التاريخ، من أجل هدف انتزاع الأرض من أهلها لتحولها إلى وعد مجرد. فالتقاليد اللاهوتية الشرقية لم تعرف مفهوم «الخلاص القومي» الذي هيمن على بعض التيارات البروتستانتية الحديثة. فالمسيحية في الشرق تطورت داخل إمبراطوريات متعددة، وتحت أنظمة سياسية متغيرة، دون أن تربط الإيمان بالسيادة أو الأرض أو التفوق الديني. من هنا، فإن القراءة الحرفية للنبوءات التوراتية، التي ربطت بين قيام دولة إسرائيل وعودة المسيح، لم تُستقبل في الشرق بوصفها اجتهادًا لاهوتيًا مشروعًا، بل كفصل تعسفي بين الإيمان والأخلاق.

منذ سبعينيات القرن الماضي، بدأت الكنائس الشرقية تعبر عن هذا الرفض بصورة أكثر تنظيمًا. وجاء بيان مجلس كنائس الشرق الأوسط عام 1986 ليشكل أول موقف جماعي واضح يضع الصهيونية المسيحية في موضع المساءلة اللاهوتية. البيان لم يكتفِ بانتقاد دعم الاحتلال، بل ذهب إلى جوهر الفكرة نفسها، محذرًا من لاهوت يمنح شرعية دينية للظلم، ويعيد تعريف الذات الإلهية بوصفها طرفًا في صراع سياسي، وليس باعتبارها مرجعًا للعدالة على الأرض.

لاحقًا، ومع تصاعد الانتفاضة الفلسطينية الأولى، برز ما يمكن تسميته بلغة أدق «لاهوت التجربة الفلسطينية». في هذا السياق، تجلت كتابات ثلاثة من الآباء الفلسطينيين هم: نعيم عتيق، ومتري الراهب، ومنذر إسحاق، من

قلب واقع يومي يختبر الاحتلال والحصار والتمييز. هذا اللاهوت لم يكن ردًا انفعاليًا على الأصوات التي تسلب الأرض، بل قراءة متماسكة للكتاب المقدس، ترفض اختزال العهد القديم في سردية سياسية، وتُعيد التأكيد على أخلاق وإنسانية النص المقدس. وثيقة «كايروس فلسطين» عام 2009 شكلت محطة مفصلية في هذا المسار. أهميتها لا تكمن فقط في مضمونها، بل في لغتها. فهي لم تخاطب العالم بلغة الشكوى، بل بلغة الإيمان نفسه، ووصفت الصهيونية المسيحية صراحة بأنها لاهوت يحرف رسالة الإنجيل. لم تطلب الوثيقة تعاطفًا، بل تحمل المسئولية، ودعت الكنائس الغربية إلى مراجعة علاقتها بالنص، وبالسلطة، وبالآخر.

ما بعد حرب غزة الأخيرة مثل لحظة كشف قاسية. فالدمار الواسع، واستهداف المدنيين، وتدمير الكنائس والمؤسسات الطبية، وضع الكنائس الشرقية أمام اختبار أخلاقي لا يحتمل الصمت. بيانات مجلس بطاركة ورؤساء الكنائس في القدس خلال 2023 و2024 جاءت أكثر حدة ووضوحًا من أي وقت مضى. اللافت في هذه البيانات أنها لم تفصل بين المأساة الإنسانية والبنية الفكرية التي تبررها، مشيرة بوضوح إلى أن بعض القراءات الدينية في الغرب أسهمت في خلق مناخ سياسي يتسامح مع العنف ويغض الطرف عن الكارثة. إلى جانب هذه الكنائس التاريخية، برزت الكنائس الإنجيلية الفلسطينية كحالة خاصة، إذ واجهت الصهيونية المسيحية من داخل العائلة الإنجيلية نفسها. هذا التيار لم يكتفِ بنقد سياسي للاحتلال، بل قدّم تفكيكًا لاهوتيًا عميقًا للخطاب الإنجيلي الغربي، كاشفًا التناقض بين ادعاءات الإيمان وممارسة التبرير الأخلاقي للعنف. أعمال لاهوتيي التحرير الفلسطينيين، ووثائق مثل «كايروس فلسطين»، مثلت محطات مفصلية في تحويل هذا الرفض إلى خطاب منظم ومؤثر داخل المسيحية العالمية.

في هذا السياق، لم يعد نقد الصهيونية المسيحية مجرد مسألة لاهوتية داخلية، بل جزءًا من خطاب أوسع حول أخلاقيات الحرب، وحدود استخدام الدين في السياسة. الكنائس الشرقية رأت أن الصمت الغربي لا يمكن فصله عن تاريخ طويل من تديين الصراع، حيث يُختزل الفلسطيني إلى عقبة في «الخطة الإلهية»، وليس إنسانا له حقوق وحياة وتاريخ. المواقف الصادرة عن الفاتيكان، خصوصًا في عهد البابا فرنسيس ثم البابا ليو الرابع عشر، أضافت بعدًا أخلاقيًا مهما لهذا النقاش. ورغم اختلاف اللغة الكاثوليكية عن اللغة البروتستانتية الإنجيلية، فإن التركيز على حماية المدنيين ورفض تحويل الحرب إلى سردية دينية يتقاطع بوضوح مع موقف الكنائس الشرقية. هذا التقاطع منح الخطاب الشرقي دعما معنويا داخل المسيحية العالمية، دون أن يلغِي الفجوة العميقة مع التيارات الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة. مجلس الكنائس العالمي

بدوره أعاد، بعد غزة، التأكيد على أن الوجود المسيحي في الشرق الأوسط ليس تفصيلًا تاريخيًا، بل شاهدًا حيًا على خطورة اختزال الدين في السياسة. بياناته وتصريحاته رفضت الخلط المتعمد بين نقد سياسات إسرائيل ومعاداة السامية، وهو خلط لطالما استخدمته التيارات الصهيونية المسيحية لإسكات أي اعتراض أخلاقي. ترى الكنائس الشرقية أن الخطر الحقيقي للصهيونية المسيحية لا يكمن فقط في دعمها غير المشروط لإسرائيل، بل فيما تفعله بالمسيحية نفسها. فهي تنزع عن الإيمان بعده الأخلاقي، وتحوله إلى أداة تعبئة سياسية، وتعيد تعريف المسيح بوصفه شاهدا على العنف، لا ناقدا له. بهذا المعنى، يصبح الصراع مع الصهيونية المسيحية صراعا على معنى المسيحية في العصر الحديث، لا على موقف سياسي بعينه.

في مرحلة ما بعد غزة، بدأت الكنائس الشرقية تتحرك خارج دائرة البيانات. هناك وعي متزايد بأهمية الاشتباك الفكري المنظم من خلال حوارات لاهوتية دولية، شراكات مع كنائس في الجنوب العالمي، حضور إعلامي أوسع، ومحاولة متواصلة لتقديم رواية مسيحية عن فلسطين لا تقوم على النبوءة، بل على التاريخ والإنسان. هذه الجهود لا تهدف إلى كسب معركة سريعة، بل إلى إعادة التوازن إلى خطاب ديني اخُتطف طويلا لصالح منطق القوة. إن موقف الكنائس الشرقية من الصهيونية المسيحية، خاصة بعد غزة، لم يعد دفاعا عن الذات أو عن جماعة محاصَرة، بل دفاعا عن جوهر الإيمان نفسه. فحين يُستخدم الدين لتبرير القتل، تصبح معارضة هذا الاستخدام واجبًا لاهوتيًا قبل أن يكون موقفًا سياسيًا. وهذا هو جوهر الخطاب الشرقي اليوم الذي يقول إن الإيمان لا يمكن أن يكون شاهد زور على الظلم، ولا شريكًا في إعادة إنتاجه باسم الله.

في هذه الدراسة، لا يُنظر إلى الكنائس المسيحية الشرقية باعتبارها فاعلًا دينيًا هامشيًا في النقاش الدائر حول فلسطين وإسرائيل، بل بوصفها أحد المفاتيح الأساسية لفهم التداخل المعقد بين اللاهوت والسياسة في الشرق الأوسط، وخاصة في مواجهة الصهيونية المسيحية. فهذه الكنائس ليست جماعات مهاجرة أو امتدادات لاهوتية وافدة، بل هي نتاج تاريخ طويل تشكل في الجغرافيا نفسها التي يدور حولها الصراع، وعاشت تحولات الإمبراطوريات، والاستعمار، وبناء الدولة القومية الحديثة، من موقع الشاهد والمشارك لا من موقع المنظر البعيد. من هنا، تسعى هذه الدراسة إلى رسم خريطة تحليلية دقيقة للكنائس المسيحية الشرقية، مواقفها المتنوعة من إسرائيل، ورفضها شبه الكامل للصهيونية المسيحية، مع التركيز على التحولات التي طرأت على هذا الموقف في مرحلة ما بعد غزة.

إخراج وتصميم

عبد المنعم أبوطالب

المدخل الأول

الصهيونية المسيحية كإشكالية لاهوتية وسياسية: لماذا وجدت الكنائس الشرقية نفسها في موقع المواجهة؟

في النقاش الدائر حول الصهيونية المسيحية، كثيرًا ما يُختزل المشهد المسيحي العالمي في الصوت الإنجيلي الأمريكي العالي، وكأن الكنائس الشرقية، بتاريخها اللاهوتي والروحي والوجودي الممتد في المشرق، غائبة أو صامتة. والحقيقة أن هذا الغياب ليس غياب موقف، بل غياب تمثيل في فضاء إعلامي ولاهوتي تهيمن عليه سرديات قادمة من خارج الشرق. فالكنائس الشرقية، على اختلاف عائلاتها الكنسية وتقاليدها اللاهوتية، تمتلك موقفًا متماسكًا وعميق الجذور من الصهيونية المسيحية تشكل عبر قرون من العيش في الأرض المقدسة، ومن اختبار مباشر لمعنى الأرض والإنسان والعدالة، وليس من خلال قراءات تستند إلى النبوءات المجردة أو إسقاطات سياسية حديثة. الصهيونية المسيحية، في جوهرها، هي ظاهرة لاهوتية سياسية نشأت في السياق البروتستانتي الغربي الحديث، خصوصًا في بريطانيا القرن التاسع عشر ثم في الولايات المتحدة، حيث تداخلت التفسيرات التدبيرية للكتاب المقدس مع مشاريع القوة والاستعمار والهيمنة. هذه الظاهرة لم تنشأ في الشرق، ولم تعبّر يومًا عن لاهوت الكنائس التي عاشت في فلسطين وسوريا ولبنان ومصر منذ القرون الأولى للمسيحية. على العكس، تنظر الكنائس الشرقية إلى الصهيونية المسيحية بوصفها انحرافًا عن الإيمان المسيحي التاريخي، لأنها تُحول الوعد الإلهي إلى عقد سياسي، وتُفرغ رسالة الإنجيل من بعدها الخلاصي والإنساني، لصالح قراءة قومية-إقصائية للنص المقدس.

الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، سواء اليونانية أو السريانية أو القبطية أو الأرمنية، تنطلق في موقفها من الصهيونية المسيحية من لاهوت التجسد. فالإيمان بأن «الكلمة صار جسدا» يعني أن الخلاص لا يرتبط بأرض بعينها بعد المسيح، بل بالإنسان أينما كان. الأرض، في هذا الفهم، ليست موضوع عبادة ولا مركز خلاص، بل مسرح شهادة. لذلك ترفض هذه الكنائس أي لاهوت يعيد «تقديس الجغرافيا» بعد الصليب والقيامة، أو يمنح شعبًا أو دولة امتيازًا إلهيًا دائمًا على حساب شعب آخر. من هذا المنطلق، ترى الكنائس الأرثوذكسية أن ربط قيام دولة إسرائيل الحديثة بنبوءات كتابية حرفية هو خلط بين تاريخ الخلاص وتاريخ السياسة، وبين الوحي الإلهي وصراعات البشر.

الكنيسة الأرثوذكسية في القدس، رغم تعقيدات موقعها السياسي والتاريخي، عبرت مرارًا عن هذا الموقف، وإن كان بصيغة حذرة أحيانا. فالبطريركية الأرثوذكسية لا تتبنى خطابًا سياسيًا صداميًا، لكنها في مواقفها الرسمية تؤكد أن الأرض المقدسة هي أرض مقدسة لجميع أبنائها، وأن العدالة والسلام هما المعيار الأخلاقي لأي ترتيب سياسي. هذا الموقف يضعها في تعارض بنيوي مع الصهيونية المسيحية، التي تبرر الاحتلال والاستيطان بوصفهما تحقيقًا لمشيئة إلهية، وتتجاهل الوجود المسيحي العربي بوصفه «تفصيلة» في سردية

أكبر. أما الكنائس الكاثوليكية الشرقية، وعلى رأسها الكنيسة الكاثوليكية اللاتينية في القدس والكنائس الشرقية المتحدة مع روما، فقد طورت خطابًا أكثر وضوحًا في نقد الصهيونية المسيحية. هذا الخطاب يستند إلى اللاهوت الاجتماعي الكاثوليكي، الذي يربط الإيمان بالعدالة وحقوق الإنسان وكرامة الشعوب. وثائق الفاتيكان، منذ المجمع الفاتيكاني الثاني، ترفض أي تفسير لاهوتي يبرر الظلم أو الإقصاء، وتؤكد أن قراءة الكتاب المقدس يجب أن تتم في ضوء الإنجيل كله، لا عبر انتقاء نصوص تُستخدم لتكريس واقع سياسي غير عادل. من هنا، تنظر الكنائس الكاثوليكية إلى الصهيونية المسيحية كأحد أشكال «تسييس اللاهوت»، الذي يضر بالعلاقة المسيحية-اليهودية، ويقوض إمكانية السلام.

الكنائس الإنجيلية العربية، رغم أنها تنتمي شكليًا إلى العائلة البروتستانتية، تقف في موقع مختلف جذريًا عن الإنجيليين الصهاينة في الغرب. فهذه الكنائس نشأت في سياق عربي-فلسطيني، وتطورت في مواجهة الاستعمار، وليس في أحضانه. لذلك، تبنى كثير من آبائها، منذ سبعينيات القرن الماضي، نقدًا صريحًا للصهيونية المسيحية، باعتبارها لاهوتًا غريبًا عن تقاليد الشرق وعن رسالة المسيح. هذا النقد بلغ ذروته مع ظهور لاهوت التحرير الفلسطيني، الذي قدمه مفكرون ورجال دين مسيحيون رأوا في الصهيونية المسيحية شكلًا من أشكال «اللاهوت الاستعماري»، الذي يقدس القوة ويتجاهل آلام المظلومين.

خلاصة الموقف الشرقي من الصهيونية المسيحية يمكن تلخيصها في ثلاث أفكار مترابطة: أولًا، رفض تحويل الكتاب المقدس إلى برنامج سياسي. ثانيًا، التأكيد على مركزية الإنسان والعدالة في الإيمان المسيحي. ثالثًا، الدفاع عن تعددية الأرض المقدسة وحق جميع أبنائها في العيش بكرامة. هذه الأفكار ليست شعارات طارئة، بل امتداد لتقليد لاهوتي شرقي يرى في المسيحية رسالة خلاص كوني، لا مشروع هيمنة دينية أو قومية. من هنا، فإن دراسة موقف الكنائس الشرقية من الصهيونية المسيحية ليست مجرد إضافة هامشية إلى أدبيات الصراع، بل مدخل أساسي لفهم الانقسام العميق داخل المسيحية المعاصرة نفسها. إنها تكشف عن صراع بين لاهوت يُقدس القوة، ولاهوت يُقدس الإنسان؛ بين قراءة للنص تُستخدم لتبرير الواقع، وقراءة تُستخدم لمساءلته. وفي هذا الصراع، تقف الكنائس الشرقية، بثقل تاريخها ومعاناتها وشهادتها، في صف الإيمان الذي يرفض أن يكون المعتقد الديني غطاء للظلم، أو الإنجيل ذريعة للحرب.

الموقف على الساحة الأمريكية

لم يكن ظهور الصهيونية المسيحية في الفضاء العام الأمريكي حدثًا دينيًا معزولًا، بل كان تعبيرًا عن التقاء ثلاث دوائر كبرى: قراءة حرفية انتقائية للنصوص الكتابية، وصعود تيار إنجيلي محافظ داخل المجتمع الأمريكي، وتحول إسرائيل إلى ركيزة ثابتة في الاستراتيجية السياسية والأمنية للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية. هذا التلاقي منح خطابًا دينيًا طابعًا سياسيًا مباشرًا، وحول المعتقد إلى أداة تعبئة انتخابية وضغط مؤسسي، وهو ما جعل أثره يتجاوز حدود الولايات المتحدة ليطال الشرق الأوسط ذاته.

من منظور الكنائس في الشرق الأوسط، لم يكن الخطر الأساسي في تعاطف ديني مع إسرائيل بحد ذاته، بل في تحويل الصراع السياسي إلى تفاسير لاهوتية مغلقة. فالصهيونية المسيحية لا تكتفي بدعم سياسات دولة حديثة، بل تؤسس لذلك الدعم عبر منظومة تفسيرية تعتبر قيام إسرائيل وتحكمها في الأرض الفلسطينية جزءًا من «خطة إلهية» لا يجوز مساءلتها سياسيًا أو أخلاقيًا. بهذا المعنى، يصبح الاحتلال فعلًا خارج التاريخ، وتُجرد معاناة الفلسطيني من أي قيمة أخلاقية، لأنه يُختزل إلى «تفصيلة» فيما يمكن تسميته بسيناريو خلاص كوني.

هذا التحول يضع الكنائس الشرقية أمام معضلة وجودية. فهي كنائس نشأت وتطورت في سياق تاريخي يرى في المسيحية رسالة خلاص أخلاقي وإنساني، لا مشروع سيطرة جغرافية. كما أنها كنائس تعيش في المكان نفسه الذي تحوله الصهيونية المسيحية إلى رمزٍ مجرد، وتختبر يوميًا نتائج هذا التوظيف الديني للسياسة في صورة قيود على الحركة، اعتداءات على ممتلكات كنسية، تهديد للوجود الديموغرافي المسيحي، وتحويل القدس من مدينة متعددة الهويات إلى ساحة صراع ديني مغلق.

الإشكالية هنا ليست فقط في النتائج السياسية، بل في إعادة تعريف المسيحية ذاتها. فالصهيونية المسيحية تقدم نموذجًا لاهوتيًا يُعيد مركز الثقل من رسالة الإنجيل القائمة على المحبة والعدل والمصالحة، إلى سردية تقوم على «الاختيار الحصري» و«الاصطفاء القومي» و«حتمية الصدام». وهو نموذج ترى فيه الكنائس الشرقية انزلاقًا خطيرًا نحو تديين العنف، وإعادة إنتاج منطق العهد القديم دون سياقه التاريخي واللاهوتي، وبما يتناقض مع جوهر العهد الجديد.

من هنا، لم تتعامل الكنائس في الشرق الأوسط مع الصهيونية المسيحية باعتبارها اختلافًا لاهوتيًا مشروعًا داخل المسيحية العالمية، بل باعتبارها تشويهًا بنيويًا للإيمان المسيحي حين يُستدعى لتبرير نزع حقوق شعب آخر. هذا الموقف لم يكن نتيجة تنظير أكاديمي مجرد، بل خلاصة تجربة تاريخية طويلة عاشتها هذه الكنائس مع الاستعمار، ثم مع قيام دولة إسرائيل، ثم مع تحوّل الدعم الغربي لإسرائيل إلى دعم مؤسسي يستند أحيانًا إلى خطاب ديني يُقصي الوجود المسيحي المحلي نفسه.

يضاف إلى ذلك أن الكنائس الشرقية أدركت مبكرًا أن الصهيونية المسيحية لا تُقصي المسلمين وحدهم، بل تُهمِّش أيضًا المسيحيين العرب، وتتعامل معهم باعتبارهم «خطًا تاريخيًا» في أرض يُراد لها أن تُختزل في ثنائية يهودية-إنجيلية أمريكية. في هذا السياق، يصبح الدفاع عن الفلسطيني المسلم دفاعًا غير مباشر عن المسيحي الفلسطيني، ويصبح الدفاع عن الوجود المسيحي دفاعًا عن مفهوم أوسع للعدالة الإنسانية يتجاوز الانتماءات الدينية.

لذلك، يمكن القول إن الكنائس في الشرق الأوسط لم تختر المواجهة مع الصهيونية المسيحية بوصفها خيارًا سياسيًا، بل وُضِعت في قلب هذه المواجهة بحكم الموقع والتاريخ والواقع. فحين يتحول النص المقدس إلى أداة تبرير للهيمنة، يصبح الصمت تواطؤًا. وحين تُستَخدم المسيحية لتكريس واقع يناقض أبسط مبادئها الأخلاقية، يصبح الدفاع عن الإيمان ذاته فعلًا سياسيًا، حتى لو لم ترغب الكنيسة في ذلك.

المدخل الثاني

الجذور الأمريكية للصهيونية المسيحية: من قراءة لاهوتية هامشية إلى قوة ضغط سياسية

لفهم سبب شعور الكنائس في الشرق الأوسط بأن الصهيونية المسيحية تمثل تهديدًا حقيقيًا، لا يكفي الاكتفاء بوصفها «تيارا دينيًا محافظًا» في الولايات المتحدة. الأهم هو تتبع كيف تحولت من تأويل لاهوتي محدود الانتشار إلى بنية نفوذ سياسي مؤسسية، قادرة على التأثير المباشر في قرارات الحرب والسلام والاعتراف والتمويل في الشرق الأوسط. في جذورها الأولى، تعود الصهيونية المسيحية الحديثة إلى تطور فكري داخل البروتستانتية الإنجيلية في القرن التاسع عشر، خصوصًا في بريطانيا ثم الولايات المتحدة، مع صعود ما عُرف بـ«اللاهوت التدبيري» (Dispensationalism). هذا التيار قسم التاريخ المقدس إلى مراحل أو «تدابير» إلهية، واعتبر أن عودة اليهود إلى فلسطين شرط أساسي لتحقيق النبوءات المتعلقة بنهاية الزمان وعودة المسيح. ورغم أن هذه الأفكار لم تكن سائدة في المسيحية التقليدية، فإنها وجدت تربة خصبة في المجتمع الأمريكي البروتستانتي، الذي كان يبحث عن قراءة بسيطة، حرفية، ومشحونة باليقين للخلاص والتاريخ.

النقطة الفاصلة كانت مع انتشار «الكتاب المرجعي لسكوفيلد» عام 1909، وهو ليس مجرد ترجمة للكتاب المقدس، بل نص مصحوب بحواشٍ تفسيرية قدمت القراءة التدبيرية بوصفها تفسيرًا شبه رسمي للنص. هذه الحواشي، التي ربطت بين النبوءات التوراتية وقيام دولة يهودية في فلسطين، تسللت إلى التعليم الكنسي الشعبي، ومع الزمن، أصبحت جزءًا من البديهيات الدينية لدى ملايين الإنجيليين الأمريكيين. وهنا بدأت الكنائس الشرقية ترى للمرة الأولى أن مستقبلها الجغرافي صار يُناقش في كتب تفسير تُدرس في مدارس دينية تبعد آلاف الكيلومترات. بعد قيام دولة إسرائيل عام 1948، اكتسب هذا اللاهوت بُعدًا جديدًا. فالحدث السياسي قُدم باعتباره «تحقيقًا للنبوءة»، لا مجرد نتيجة صراع استعماري أو قرار دولي. ومع حرب 1967، واحتلال القدس الشرقية، تعزز هذا المنطق أكثر، إذ اعتُبرت السيطرة الإسرائيلية على القدس لحظة لاهوتية مفصلية. في هذه المرحلة، لم تعد الصهيونية المسيحية

خطابًا يحقق للنبوءة المؤجلة، بل تفسيرًا فوريًا للأحداث الجارية، وهو ما منحها طاقة تعبئة هائلة داخل المجتمع الأمريكي. غير أن التحول الأخطر لم يكن لاهوتيًا فقط، بل سياسيًا. فمنذ السبعينيات، ومع صعود اليمين الإنجيلي كقوة انتخابية منظمة، بدأت الصهيونية المسيحية تنتقل من المنبر الكنسي إلى الحملات الانتخابية. شخصيات مثل جيري فالويل وبات روبرتسون ساهمت في دمج الإيمان الإنجيلي بالسياسة الخارجية، واعتبار دعم إسرائيل اختبارًا للولاء الديني والسياسي معا. وبحلول التسعينيات، صار هذا الدعم جزءًا من «العقد الأيديولوجي» داخل الحزب الجمهوري.

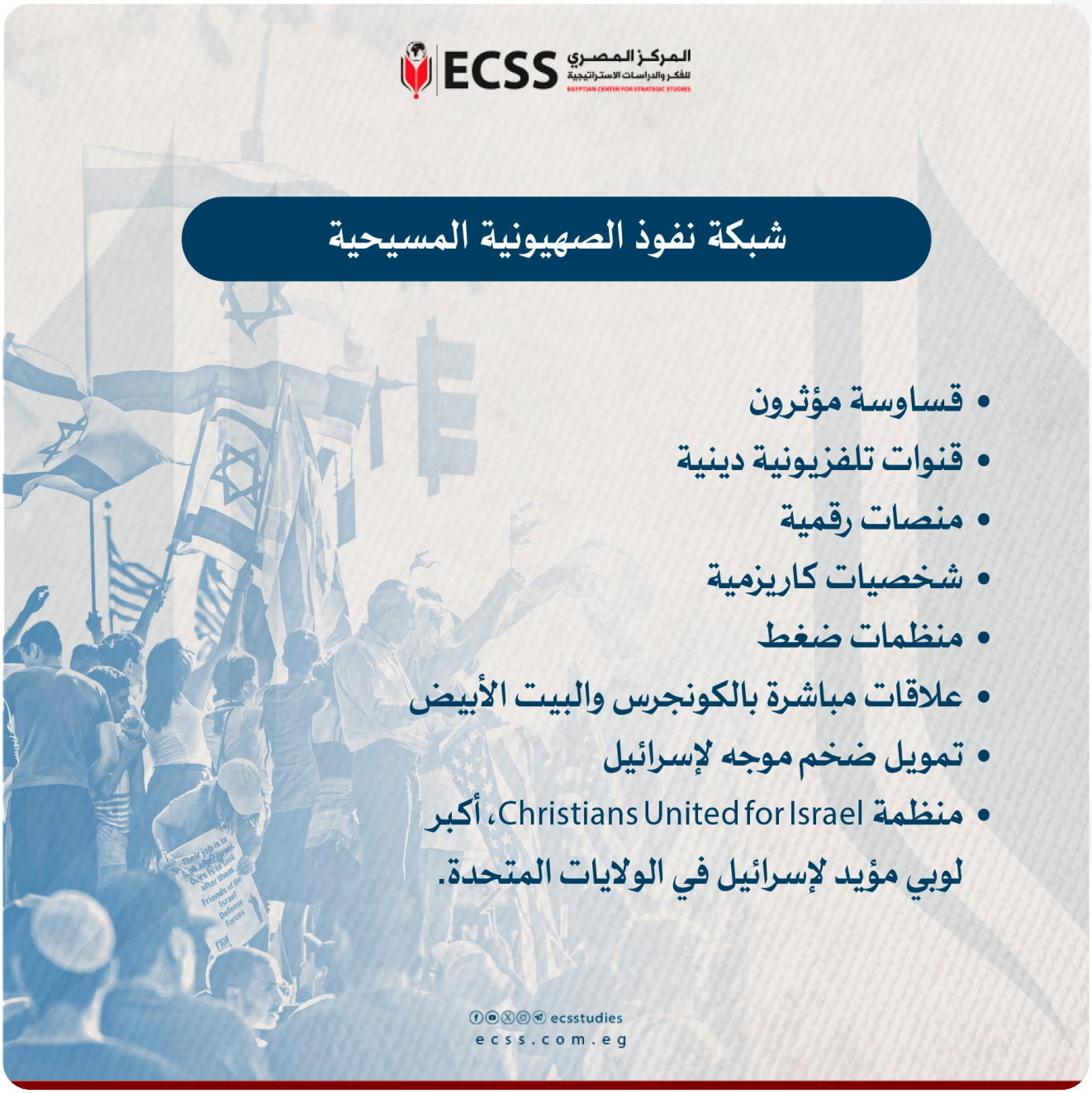

في هـذا السـياق، لـم تعـد الكنائـس الشـرقية تواجـه مجـرد خطـاب ديني، بـل شـبكة نفـوذ متكاملـة: قساوسـة مؤثـرون، قنـوات تلفزيونيـة دينيـة، منظمـات ضغـط، علاقـات مباشـرة بالكونجـرس والبيـت الأبيـض، وتمويـل ضخـم موجـه نحـو إسـرائيل. وقـد كان تأسيـس منظمـة Christians United for Israel عـام 2006 تتويجًـا لهـذا المسـار، إذ جمعـت بين اللاهـوت التعبـوي والتنظيـم السـياسي، وقدمـت نفسـها بوصفهـا أكبرلـوبي مؤيـد لإسـرائيل في الولايـات المتحـدة مـن حيـث القاعـدة الشـعبية. بالنسـبة للكنائـس في الشـرق الأوسـط، كان هـذا التحـول كاشـفًا. فالصهيونيـة المسـيحية لـم تعـد مجـرد قـراءة كتابيـة خاطئـة يمكـن الـرد عليهـا بنقـاش لاهـوتي هـادئ، بـل صـارت فـاعلًا سياسـيًا مباشـرًا يسـاهم في صياغـة قـرارات تمـس الأرض والـسكان والقـدس والمقدسـات. الأخطـر مـن ذلـك أن هـذا التيـار كان يتحـدث باسـم المسـيحيين في السياسـة الأمريكيـة، بينمـا يُقصي فعليًـا مسـيحيي الشـرق الأوسـط أنفسـهم مـن أي تمثيـل أو اعتبـار. كمـا لاحظـت الكنائـس الشـرقية أن هـذا التيـار أقـام تحالفًـا وثيقًـا مـع اليـمين القـومي والـديني في إسـرائيل، وهـو تحالـف يقـوم علـى مصلحـة متبادلـة، لا علـى توافـق لاهـوتي حقيقـي. فبينمـا يـرى الإنجيليـون في إسـرائيل أداة لتحقيـق النبـوءة، يـرى اليـمين الإسـرائيلي في الإنجيليـين مصـدر دعـم سـياسي ومـالي غيرمشـروط. هـذا التحالـف البراجماتي جعـل مـن الصهيونيـة المسـيحية عنصـرًا يزيـد مـن تصلـب المواقـف الإسـرائيلية، ويضعـف أي فـرص لتسـوية قائمـة علـى العدالـة. هنـا تحديـدًا بـدأ الوعـي الـكنسي الشـرقي يتبلـور بـأن المواجهـة ليسـت مـع الولايـات المتحـدة كدولـة، ولا مـع المسـيحيين الغربـيين عمومًـا، بـل مـع اختطـاف الإيمـان المسـيحي لصالـح مشـروع جيوسـياسي. هـذا الإدراك هـو مـا سـيقود لاحقًـا إلى إنتـاج وثائـق كنسـية جماعيـة، وإلى مخاطبـة الكنائـس الغربيـة بلغـة صادمـة أحيانًـا، تقـول إن مـا يُقـدم بوصفـه «إيمانًـا كتابيًـا» ليـس سـوى أيديولوجيـا حديثـة النشـأة مغلفـة بالديـن.

المدخل الثالث

الكنائس الشرقية والصهيونية المسيحية: تفكيك الفوارق اللاهوتية والتاريخية

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
ECSS
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

الفارق البنيوي بين رؤية الكنائس الشـرقية والصهيونية المسيحية

(صراع على تعريف العلاقة بين الإيمان والتاريخ والسـلطة)

الكنائس الشرقية

- النص المقدس: يُقرأ في سياقه التاريخي والأخلاقي
- الذات الإلهية: مرجع للعدالة على الأرض
- الأرض: مسرح شهادة لا ملكية مقدسة
- الدولة: كيان زمني قابل للنقد والمساءلة
- قيام إسرائيل: حدث لاهوتي سياسي
- الخلاص: كوني مرتبط بالإنسان لا بالأرض
- الصهيونية المسيحية: انحراف خطير في فهم النص المقدس (الدين في قلب مشروع سياسي استعماري)
- التجربة التاريخية: العيش تحت الإمبراطوريات، لا التحالف معها

الصهيونية المسيحية

- النص المقدس: قراءة حرفية نبوئية انتقائية
- الذات الإلهية: طرف في الصراع السياسي
- الأرض: وعد إلهي أبدي غير مشروط
- الدولة: أداة إلهية خارج المحاسبة الأخلاقية
- قيام إسرائيل: حدث نبوئي توراتي
- الخلاص: مشروط بسيناريو سياسي-نبوئي
- التجربة التاريخية: سياق أمريكي بلا تجربة مع تديين السلطة

ecsstudies
ecss.com.eg

لا يقتصر الخلاف بين الكنائس المسيحية الشرقية والصهيونية المسيحية الأمريكية على الموقف من إسرائيل أو على تقييم حرب بعينها، بل يعكس تباينًا عميقًا في التصور اللاهوتي للدين، وفي فهم العلاقة بين النص المقدس والتاريخ، وبين الإيمان والسلطة، وبين الأرض والقداسة. هذا الفارق البنيوي هو الذي يفسر كيف يمكن للخطابين أن ينطلقا من الكتاب المقدس نفسه، ويصلا إلى رؤيتين متناقضتين جذريًا للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. تاريخيًا، تشكلت الكنائس الشرقية داخل سياق إمبراطوري طويل، لم تكن فيه الكنيسة في موقع السيادة أو التحالف مع القوة الامبراطورية، بل في موقع الشهادة والصمود والتكيف. هذا الموقع ترك أثرًا واضحًا في لاهوت هذه الكنائس، حيث أصبح الدين مرتبطًا بالحياة اليومية وبالوجود في المكان، لا بتبرير السيطرة عليه. ولذلك، تطور داخل هذه الكنائس وعي حذر تجاه أي خطاب ديني يربط القداسة بالسلطة السياسية أو يحول النص المقدس إلى أداة لشرعنة الهيمنة. من هذا المنطلق، تنظر الكنائس الشرقية إلى الصهيونية لا باعتبارها مجرد حركة قومية يهودية، بل كنموذج حديث لتوظيف الدين في خدمة مشروع إقصائي، وهو نموذج عرفته تاريخيًا في أشكال متعددة من الحكم الإمبراطوري.

في المقابل، نشأت الصهيونية المسيحية الأمريكية في سياق مختلف جذريا. فهي امتداد مباشر للتجربة البروتستانتية الاستيطانية في العالم الجديد، حيث اقترنت العقيدة منذ بداياتها بفكرة «الاختيار» و«البركة» و«النجاح التاريخي». في هذا السياق، لم تُفهم الأرض بوصفها أمانة أخلاقية، بل بوصفها عطية إلهية تُمنح لمن ينجح في السيطرة عليها. هذا التصور مهد لقراءة إسرائيل الحديثة باعتبارها تحقيقًا حرفيًا للوعد التوراتي، لا كدولة خاضعة لمساءلة أخلاقية. يتجلى هذا التباين بوضوح في طريقة قراءة النص المقدس. تعتمد الصهيونية المسيحية قراءة حرفية-نبوئية ترى أن وعد الأرض لليهود وعد أبدي غير مشروط، لا يتأثر بالسلوك السياسي أو الأخلاقي. التاريخ، في هذا الفهم، مسار إلهي مغلق، وعلى المؤمن أن ينحاز إليه لا أن يحاكمه أو يبدي الشكوك بشأنه. أما الفلسطيني، فلا يظهر بوصفه صاحب حق أو تاريخ، بل كعقبة مؤقتة في طريق تحقيق النبوءة. على عكس تلك الرؤية، تتعامل الكنائس الشرقية مع النص بوصفه خطابًا أخلاقيًا تاريخيًا، لا وثيقة ملكية. وعد الأرض، في هذا الفهم، مرتبط بالعدل، ولا ينفصل عن السلوك الإنساني. فالأرض تفقد معناها المقدس حين تتحول إلى أداة ظلم أو إقصاء. هذا المنظور لا ينفي التاريخ اليهودي، لكنه يرفض تحويله إلى تفويض مفتوح للهيمنة السياسية المعاصرة. ولذلك، يصبح الاحتلال، أيًا كان فاعله، نقيضًا مباشرًا للقداسة.

من الوجهة السياسية، ترى الصهيونية المسيحية في الدولة الإسرائيلية حليفًا دينيًا واستراتيجيًا في آن واحد، وجزءًا من معركة كونية بين الخير والشر. هذا التصور يجعل من القوة العسكرية دليلًا على الشرعية والتفوق الأمني دليلًا على الرضا الإلهي، ويُفضي إلى تبرير الحروب بوصفها ضرورة أخلاقية أو مرحلة حتمية في مسار تاريخي مقدس. أما الكنائس الشرقية، فتنطلق من تصور مختلف للدولة. الدولة، أي دولة، هي كيان بشري زمني يخضع للمساءلة، ولا يتمتع بقداسة دينية. لا عصمة للحدود، ولا تبرير أخلاقي للعنف باسم الإيمان. هذا الموقف متجذر في تقليد مسيحي شرقي يرى أن «ملكوت الله» لا يُختزل في دولة قومية، وأن الإيمان لا يتحقق عبر السيطرة السياسية بل عبر إقامة العدل. ويبلغ هذا الفارق ذروته في فهم معنى الأرض المقدسة. في الصهيونية المسيحية، الأرض مسرح للنبوءات المستقبلية، وقيمتها الأساسية تكمن في دورها في سيناريو نهاية الزمان، حتى لو جاء ذلك على حساب البشر الذين يعيشون عليها اليوم. أما في الكنائس الشرقية، فالأرض مكان حياة وذاكرة تاريخية وصلوات ومقابر. قداسة الأرض لا تُفهم بمعزل عن كرامة سكانها، ولا يمكن فصل الحجر عن الإنسان. هذا الاختلاف ينعكس بوضوح في التعامل مع الحروب، ولا سيما في غزة. ففي حين تميل الصهيونية المسيحية إلى تفسير الحرب من زاوية الأمن والنبوءة، ترى الكنائس الشرقية فيها لحظة انكشاف أخلاقي، لا يمكن فيها الحديث عن وعد إلهي بينما تُدمَّر الحياة اليومية ويُسحق المدنيون. من هنا، يصبح الصراع، في الخطاب الكنسي الشرقي، صراعًا على معنى العدالة قبل أن يكون نزاعًا على الأرض.

منذ اللحظة الأولى لانخراط الكنائس في الشرق الأوسط في مواجهة الصهيونية المسيحية، أدركت أن أخطر ما في هذا التيار ليس فقط دعمه غير المشروط لإسرائيل، بل قدرته على خلط المفاهيم على نحو يجعل أي نقد سياسي أو حقوقي يبدو كأنه عداء ديني أو كراهية عرقية. لذلك كان التمييز المفاهيمي بين اليهودية والصهيونية والصهيونية المسيحية شرطًا أساسيًا لأي خطاب كنسي مسئول، ودرعًا أخلاقيًا يحمي الكنائس من الوقوع في فخ الاستقطاب الديني. إن الكنائس الشرقية، بحكم تاريخها الطويل في العيش المشترك، لا تنظر إلى اليهودية بوصفها «عدوًا دينيًا». على العكس، فهي ترى اليهودية ديانة توحيدية كبرى، وجزءًا من التاريخ الديني للمنطقة، بل إن المسيحية نفسها نشأت داخل هذا السياق اليهودي. لذلك شددت الوثائق الكنسية مرارًا على أن الصراع في فلسطين ليس صراع أديان، وأن تحويله إلى مواجهة دينية يُعد تشويهًا متعمدًا للواقع، ويخدم فقط القوى التي تستفيد من إطالة أمد الصراع. في هذا الإطار، ميزت الكنائس بوضوح بين اليهودية كديانة، والصهيونية كمشروع سياسي حديث نشأ في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، في سياق قومي-استعماري لا ديني في جوهره. هذا التمييز لم يكن لغويًا فحسب، بل تحليليًا؛ إذ أكدت الكنائس أن الصهيونية ليست امتدادًا طبيعيًا لليهودية، وأن داخل اليهودية نفسها

تيارات دينية وفكرية ترفض الصهيونية أو تنتقد ممارسات دولة إسرائيل. بهذا المعنى، يصبح نقد الصهيونية موقفًا سياسيًا مشروعًا، لا تعبيرًا عن عداء ديني. أما «الصهيونية المسيحية»، فهي في نظر الكنائس الشرقية ظاهرة مختلفة، لأنها تمثل تسييسًا للمسيحية نفسها. فهي لا تنطلق من هم يهودي أو من تجربة يهودية تاريخية، بل من قراءة مسيحية أمريكية تُسقط تصوراتها اللاهوتية على صراع لا تعيشه الفئة التي تقف وراء تلك الاجتهادات. الأخطر أن هذا التيار يوظف نصوصًا من العهد القديم خارج سياقها التاريخي واللاهوتي، ويتجاهل بالكامل مركزية العهد الجديد وتعاليم المسيح حول العدالة والمحبة والرحمة. هذا التمييز الثلاثي- اليهودية، الصهيونية، الصهيونية المسيحية- سمح للكنائس في الشرق الأوسط بتفكيك سردية الابتزاز الأخلاقي التي تقول إن أي انتقاد لإسرائيل هو بالضرورة معاداة للسامية. في وثيقة «كايروس فلسطين»، يظهر هذا الموقف بوضوح حين تُدان معاداة السامية بوصفها خطيئة أخلاقية، وفي الوقت نفسه يُدان الاحتلال بوصفه خطيئة سياسية وروحية. الجمع بين الإدانتين هنا ليس تناقضًا، بل هو تأكيد على أن العدالة لا تتجزأ، وأن الدفاع عن الفلسطيني لا يتطلب إنكار آلام اليهود التاريخية، ولا تبرير الظلم المعاصر باسم تلك الآلام.

الكنائس الشرقية ذهبت أبعد من ذلك حين أكدت أن الصهيونية المسيحية لا تضر بالفلسطينيين وحدهم، بل تضر بالعلاقات اليهودية-المسيحية نفسها. فحين يُختزل اليهودي إلى أداة في (سيناريو لنبوءة) ينتهي بالحرب والدمار، فإن ذلك يُفرغ الحوار الديني من مضمونه الإنساني، ويحول الآخر إلى وسيلة، لا غاية. بهذا المعنى، فإن رفض الصهيونية المسيحية هو أيضًا دفاع عن كرامة اليهود كأشخاص، لا كرموز في قصة خلاص عنيفة. سياسيًا، مكن هذا التمييز الكنائس من مخاطبة الرأي العام الغربي بلغة عقلانية لا انفعالية. فبدلًا من الدخول في سجالات دينية مفرغة، ركز الخطاب الكنسي على القانون الدولي وحقوق الإنسان، مع الحفاظ على وضوح أخلاقي في رفض كل أشكال العنصرية، بما فيها معاداة السامية. هذا الموقف منح الكنائس قدرًا من المصداقية داخل الأوساط المسكونية والأكاديمية، حتى لو ظل تأثيره محدودًا في دوائر القرار السياسي. لكن هذا المسار لم يكن بلا ثمن. فالكنائس التي أصرت على هذا التمييز واصلت التعرض لهجمات إعلامية تتهمها بتسييس الدين أو الانحياز، رغم أن الطرف المقابل يمارس تسييسًا دينيًا أكثر فجاجة. ومع ذلك، رأت الكنائس الشرقية أن التخلي عن هذا التمييز يعني الوقوع في فخ ثنائية زائفة: إما الصمت، أو الاتهام بالكراهية. ولذلك تمسكت بالتمييز في تلك المواقف بوصفه خط الدفاع الأخير عن المعنى الأخلاقي للمسيحية. هذا التمييز أصبح أداة عملية مكنت الكنائس من الاستمرار في المواجهة دون الانزلاق إلى خطاب كراهية أو صدام ديني. وهو ما مهد للمرحلة التالية، حيث انتقلت الكنائس من تفكيك المفاهيم إلى بناء مواقف جماعية ووثائق مؤسسة، تعطي لهذا التمييز شكلًا مؤسسيًا ورسميًا.

المدخل الرابع

الكنائس في الأرض المقدسة وإنتاج الوثائق المؤسِّسة

الكنائس المحلية في فلسطين، وفي غزة على وجه الخصوص، هي من أقدم الجماعات المسيحية في العالم، تعود جذورها إلى ما قبل تشكّل الدولة القومية الحديثة، بل إلى ما قبل أي تصور سياسي مسيحي للأرض والسيادة. هذه الكنائس نشأت تاريخيا داخل فضاء إمبراطوري متغير، وليس داخل دولة دينية، وهو ما كون لديها لاهوتًا عمليًا يقوم على الاستمرارية والشهادة، لا على الامتلاك أو السيطرة. عبرقرون من الحكم الروماني والبيزنطي ثم الإسلامي والعثماني، تعلمت هذه الكنائس أن السلطة السياسية عابرة، وأن ربط الإيمان بالقوة يؤدي دائمًا إلى تآكل الكنيسة نفسها. بعد 1948 ثم 1967، دخل هذا الإرث التاريخي في مواجهة مباشرة مع مشروع استيطاني حديث يستخدم الدين لتبرير الاعتداء على الجغرافيا. هنا تبلور ما يمكن تسميته «لاهوت البقاء»، الذي يرفض تقديس الأرض أو تحويلها إلى أداة إقصاء. في هذا السياق، جاء قصف كنيسة القديس برفيريوس في غزة، واستهداف محيط كنيسة العائلة المقدسة، ليس باعتباره حادثة طارئة، بل كامتداد لمنطق تاريخي تعرفه هذه الكنائس جيدًا والذي يقول حين يُقدس الرمز، يُمحى الإنسان. لذلك، كان رفض الكنائس المحلية لأي خطاب ديني يبرر الحرب بعد غزة موقفًا وجوديًا لا سياسيًا نابعًا من خبرة تاريخية طويلة مع تديين العنف.

فحتى مطلع الألفية الثالثة، كانت الكنائس في القدس والأرض المقدسة تميل- بحكم موقعها الحساس- إلى ما يمكن تسميته «الشهادة الصامتة». فقد فضلت القيادات الكنسية، تاريخيًا، التركيز على حماية الوجود المسيحي، وإدارة شئون الأوقاف والمقدسات، والحفاظ على قنوات تواصل مع السلطات المختلفة، دون الدخول في مواجهة فكرية أو سياسية علنية مع تيارات خارج الإقليم. هذا الخيار لم يكن جبنًا أو حيادًا أخلاقيًا، بل حسابًا دقيقًا في بيئة معقدة حيث الكلمة قد تكلف وجودًا أو ممتلكات أو قدرة على الوصول إلى الأماكن المقدسة. غيرأن صعود الصهيونية المسيحية كقوة سياسية فاعلة داخل الولايات المتحدة، وتحولها إلى داعم لسياسات إسرائيلية تمس القدس مباشرة- خاصة بعد الانتفاضة الثانية وتصاعد الاستيطان وإغلاق المدينة- فرض على الكنائس في الأرض المقدسة إعادة النظر في هذا الصمت. فالتحدي لم يعد يقتصر على إدارة واقع مفروض، بل أصبح تحديًا لهويتها اللاهوتية ودورها التاريخي بوصفها كنائس تعيش في المكان الذي يُعاد تعريفه دينيًا من الخارج.

التحول بدأ تدريجيًا مع تزايد زيارات وفود إنجيلية أمريكية إلى القدس، تقدم نفسها باعتبارها «أصدقاء إسرائيل» و«حماة المسيحية»، بينما تتجاهل بالكامل الوجود المسيحي العربي المحلي. هذا التجاهل لم يكن مجرد إغفال بروتوكولي، بل هو تعبيرعن رؤية لاهوتية ترى في مسيحيي الشرق الأوسط عنصرًا ثانويًا أو حتى

مربكًا للسردية القائمة على النبوءة. هنا أدركت الكنائس الشرقية والمقدسية أن الصمت لم يعد خيارًا، وأن الاستمرار فيه يعني السماح للآخرين بالحديث باسمها.

بيانات مجلس بطاركة ورؤساء الكنائس في القدس بعد غزة، الصادرة عن شخصيات مثل البطريرك ثيوفيلوس الثالث والكاردينال بييرباتيستا بيتسابالا، تعكس هذا التحول التاريخي. لم تعد الكنيسة تتحدث بلغة الحارس الإداري للأماكن المقدسة، بل تتحدث بلغة الشاهد الأخلاقي الذي يرى أن الحياد لم يعد فضيلة حين يتحول إلى غطاء للعنف.

موقف الكنيسة الكاثوليكية بعد غزة لا يمكن فصله عن تاريخها الطويل مع السلطة السياسية. الكاثوليكية هي الكنيسة التي اختبرت التحالف مع الإمبراطوريات، ومارست السلطة، ثم دفعت ثمن ذلك أخلاقيًا وروحيًا. هذه الذاكرة التاريخية هي التي دفعت الفاتيكان، خصوصًا منذ المجمع الفاتيكاني الثاني، إلى تبني موقف حذر جذريًا من أي خطاب يربط الدين بالحرب. بعد غزة، جاء خطاب البابا فرنسيس ثم البابا ليون الرابع عشر استمرارًا لهذا المسار من حيث الرفض المطلق لاستهداف المدنيين، وتحذير صريح من تحويل الدين إلى أداة تبرير للعنف، دون الانخراط في اصطفاف سياسي مباشر. يقول المتخصصون في تاريخ الكنائس الشرقية أن هذا الموقف لا يعد ممارسة للغموض، بل هو تعبير عن وعي تاريخي يقول إن الكنيسة حين تبارك القوة تفقد قدرتها على مساءلتها. غزة أعادت إحياء هذا التوتر. فالكنائس البروتستانتية غير الإنجيلية وجدت نفسها أمام اختبار شبيه بما واجهته في لحظات تاريخية سابقة، مثل الاستعمار والفصل العنصري في جنوب أفريقيا. استدعاء وثيقة كايروس فلسطين بعد غزة لم يكن صدفة، بل محاولة واعية للعودة إلى الجذر الإصلاحي الذي يرى أن الإيمان يجب أن يحاسب السلطة لا أن يتماهى معها.

إعلان القدس 2006

في عام 2006، جاء الرد المفصلي عبر «إعلان القدس حول الصهيونية المسيحية»، الذي صدر عن بطاركة ورؤساء الكنائس في القدس، بمشاركة طيف واسع من الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والأنجليكانية والإنجيلية المحلية. أهمية هذا الإعلان لا تكمن فقط في محتواه، بل في كونه أول موقف كنسي جماعي صريح من قلب الأرض المقدسة يصف الصهيونية المسيحية بأنها «تعليم زائف» يُحرف رسالة الإنجيل ويبرر الظلم

الواقع على الشعب الفلسطيني. الإعلان قدم نقلة نوعية في الخطاب الكنسي. فهو لم يكتفِ بإدانة الاحتلال أو الدعوة إلى السلام، بل واجه جوهر الصهيونية المسيحية لاهوتيًا، مؤكدًا أن قراءة الكتاب المقدس التي تُستخدم لتبرير مصادرة الأرض وإقصاء شعب كامل هي قراءة تتناقض مع تعاليم المسيح حول العدالة والمصالحة. هذه اللغة كانت غير مسبوقة في وضوحها، لأنها سحبت من التيار الصهيوني المسيحي أهم أدواته ألا وهو الادعاء بأنه يمثل «الإيمان الكتابي الصحيح». الأهم أن الإعلان لم يصدر عن كنيسة واحدة، بل عن جسم كنسي متعدد الطوائف، وهو ما منح الموقف وزنًا مسكونيًا نادرًا. ففي مدينة تُعد رمزًا للخلافات اللاهوتية التاريخية بين الكنائس، جاء هذا التوافق ليقول إن التهديد الذي تمثله المسيحية الصهيونية يتجاوز الانقسامات التقليدية، ويمس جوهر الوجود المسيحي المشترك في القدس.

مثل إعلان القدس – من الناحية السياسية – خطوة محسوبة بدقة. فالوثيقة تجنبت اللغة الأيديولوجية الحادة، وحرصت على التمييز بين اليهودية، الصهيونية، والصهيونية المسيحية، مؤكدة رفضها لأي شكل من أشكال معاداة السامية. في الوقت نفسه، ربطت بوضوح بين الإيمان المسيحي واحترام القانون الدولي وحقوق الإنسان، وهو ما سمح لها بأن تكون وثيقة دينية ذات قابلية للتداول في الفضاء السياسي والحقوقي الغربي. من زاوية الكنائس المحلية، كان الإعلان أيضًا رسالة داخلية لمسيحيي الأرض المقدسة أنفسهم. فقد منحهم إحساسًا بأن قياداتهم الروحية لم تعد تكتفي بإدارة الأزمات اليومية، بل باتت مستعدة للدفاع العلني عن معنى وجودهم ودورهم. بهذا المعنى، لم يكن الإعلان مجرد خطاب موجه للخارج، بل إعادة تعريف لدور الكنيسة المحلية بوصفها شاهدًا أخلاقيًا لا يمكن اختزاله في إدارة المقدسات.

لكن ردود الفعل على الإعلان كشفت في الوقت ذاته حدود هذا التحول. فقد قوبلت الوثيقة بحملات تشكيك في الغرب، واتهامات بتسييس الدين، ومحاولات لتقليل وزن الموقعين عليها. ومع ذلك، فإن صدور الإعلان نفسه كسر حاجز الصمت، وفتح الباب أمام مرحلة جديدة ستتجسد بعد ثلاث سنوات في وثيقة أكثر جذرية وتأثيرًا وهي «كايروس فلسطين» عام 2009. يمكن القول إن هذا التحول يمثّل لحظة الانتقال من الدفاع إلى المبادرة. فالكنائس في القدس لم تعد تكتفي برد الفعل على سياسات مفروضة أو قراءات مفروضة، بل بدأت تنتج نصوصًا تُنافس على تعريف المسيحية ذاتها في السياق السياسي المعاصر. وهو تحول سيُفضي لاحقًا إلى توسيع دائرة المواجهة من القدس إلى الفضاء المسيحي العالمي بأسره.

المدخل الخامس

«كايروس فلسطين» من وثيقة كنسية محلية إلى خطاب مسيحي عالمي في مواجهة لاهوت الاحتلال

إذا كان «إعلان القدس» عام 2006 قد مثل لحظة كسر الصمت، فإن وثيقة «كايروس فلسطين» التي صدرت عام 2009 هي لحظة الحقيقة حيث شكلت التحول البنيوي الأعمق في دور الكنائس في الشرق الأوسط في مواجهة الصهيونية المسيحية. لم نعد أمام بيان اعتراض أو رد لاهوتي دفاعي، بل أمام مشروع فكري ولاهوتي متكامل يعيد تعريف العلاقة بين الإيمان والعدالة والسياسة في سياق الاحتلال. فقد صدرت الوثيقة من قلب التجربة الفلسطينية المسيحية، ووقع عليها قساوسة ولاهوتيون وقيادات كنسية تمثل طيفًا واسعًا من الكنائس في الأرض المقدسة. اختيار كلمة «كايروس» لم يكن اعتباطيا؛ فهي في اللاهوت المسيحي تشير إلى «الزمن الحاسم»، أو اللحظة التي يتقاطع فيها التاريخ البشري مع الواجب الأخلاقي. بهذا المعنى، أعلنت الوثيقة من خلال عنوانها أن الصمت لم يعد خيارًا، وأن الكنيسة تقف أمام اختبار أخلاقي لا يقل خطورة عن أي لحظة مفصلية في تاريخها.

التحول الجوهري الذي أحدثته «كايروس فلسطين» يكمن في نقل الصراع من حيز الجدل السياسي إلى حيز المسئولية اللاهوتية. فالوثيقة تصف الاحتلال الإسرائيلي بوضوح بأنه «خطيئة ضد الله وضد الإنسان»، وهي صيغة غير مسبوقة في جرأتها، لأنها تنزع عن الاحتلال أي حياد أخلاقي، وتضعه في مواجهة مباشرة مع جوهر الإيمان المسيحي. في هذا السياق، يصبح الدفاع عن العدالة ليس خيارًا سياسيًا، بل واجبًا إيمانيًا. ففي مواجهة الصهيونية المسيحية، قدمت الوثيقة تفكيكًا لاهوتيًا حاسما. فهي ترفض صراحة أي تفسير كتابي يُستخدم لتبرير السيطرة على الأرض أو إقصاء شعب آخر، وتؤكد أن كلمة الله لا يمكن أن تكون أداة ظلم. اللافت هنا أن الوثيقة لا تدخل في سجال تفسيري تقني، بل تعيد توجيه السؤال: ما هو معيار صدق اللاهوت؟ الجواب جاء واضحا: اللاهوت الذي لا يقود إلى العدالة والكرامة الإنسانية هو لاهوت زائف، مهما استند إلى نصوص أو نبوءات.

وقد تجاوزت «كايروس فلسطين» الخطاب الكنسي التقليدي القائم على الدعوة المجردة للسلام. فهي تميز بين «سلام زائف» يُفرض بالقوة ويطلب من الضحية التكيف معه، و«سلام حقيقي» لا يمكن أن يقوم إلا على إنهاء الاحتلال وضمان الحقوق. وهذا التمييز كان مهمًا لأنه وجّه نقدًا غير مباشر لخطابات دينية غربية، بما فيها بعض الخطابات المسيحية، التي تساوي بين الطرفين أخلاقيًا وتتجاهل اختلال ميزان القوة. الأثر الأوسع للوثيقة ظهر في تحولها إلى مرجعية مسيحية عالمية. فقد تُرجمت إلى لغات متعددة، وتبنتها كنائس ومنظمات مسكونية في أوروبا وأمريكا الشمالية وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. للمرة الأولى، صار لمسيحيي فلسطين نص يتحدث باسمهم في المحافل الكنسية الدولية، ويخاطب الكنائس الغربية بلغة أخلاقية مباشرة تقول إنه لا يمكن دعم لاهوت يبرر الظلم، ثم الادعاء بالحياد. كما فتحت الوثيقة نقاشًا حساسًا داخل المسيحية الغربية حول حدود العلاقة بين الإيمان والسياسة. فبينما اعتادت الكنائس الغربية، خاصة البروتستانتية، على الفصل النسبي بين اللاهوت والسياسة الخارجية، جاءت «كايروس فلسطين» لتقول إن هذا الفصل نفسه قد يتحول إلى تواطؤ حين يتعلق الأمر باحتلال طويل الأمد. في الوقت ذاته، حافظت «كايروس فلسطين» على خط أخلاقي دقيق. فهي ترفض معاداة السامية رفضًا قاطعًا، وتؤكد احترامها للمعاناة التاريخية لليهود، لكنها تصر على أن هذه المعاناة لا تمنح شرعية لظلم جديد. بهذا المعنى، واصلت الوثيقة خط التمييز الذي أرسته الكنائس الشرقية، لكنها نقلته من مستوى الدفاع إلى مستوى السعي إلى إعادة صياغة الخطاب المسيحي العالمي حول فلسطين.

من المهم أيضًا ملاحظة أن الوثيقة لم تُقدم نفسها بوصفها بيانًا نهائيًا، بل باعتبارها دعوة مفتوحة للفعل. فقد طالبت الكنائس العالمية بترجمة الموقف الأخلاقي إلى سياسات ملموسة، بما في ذلك إعادة النظر في أشكال الدعم غير المشروط لإسرائيل، ودعم مبادرات المقاطعة السلمية، وتعزيز حضور مسيحيي الأرض المقدسة. ورغم كل ذلك، واجهت «كايروس فلسطين» هجومًا عنيفًا من الدوائر المؤيدة للصهيونية المسيحية، والتي اتهمتها بالتحريض وتسييس الإيمان. غير أن هذه الهجمات نفسها أكدت حجم التأثير الذي أحدثته الوثيقة؛ إذ لم تعد المواجهة محصورة في بيانات محلية، بل أصبحت معركة على تعريف المسيحية ودورها في عالم تتشابك فيه العقيدة مع الجغرافيا السياسية. ويمكن القول إن "كايروس فلسطين» شكلت نقطة اللاعودة في موقف الكنائس في الشرق الأوسط. فمن بعدها، لم يعد ممكنًا الاكتفاء بلغة عامة عن السلام، ولا الاكتفاء بردود فعل دفاعية على الصهيونية المسيحية. لقد أرست الوثيقة ما يمكن اعتباره نموذجًا لاهوتيًا بديلًا، يربط الإيمان بالتحرر والعدالة.

المدخل السادس

دور مجلس كنائس الشرق الأوسط ومجلس الكنائس العالمي في تدويل الخطاب المضاد للصهيونية المسيحية

بعد وثيقة «كايروس فلسطين»، لم تعد المواجهة مع الصهيونية المسيحية شأنًا محليًا يخص كنائس القدس أو فلسطين وحدها، بل انتقلت إلى مستوى المؤسسات الكنسية الإقليمية والعالمية. هنا لعب كل من مجلس كنائس الشرق الأوسط (MECC) ومجلس الكنائس العالمي (WCC) دورًا حاسمًا في تحويل الموقف الأخلاقي المحلي إلى خطاب مسكوني دولي، له شرعية مؤسسية وقدرة على التأثير في الرأي العام المسيحي العالمي. يُعد مجلس كنائس الشرق الأوسط، الذي تأسس بصيغته الحديثة عام 1974، من أقدم الأطر التي تعاملت مبكرًا مع ظاهرة الصهيونية المسيحية. فقبل أن تصبح هذه الظاهرة موضوعًا إعلاميًا عالميًا، أصدر المجلس عام 1986 وثيقة مفصلية تناولت ما وصفته بـ«الصهيونية المسيحية الأصولية الغربية»، محذرًا من خطورتها على مسيحيي المنطقة وعلى مصداقية المسيحية نفسها. أهمية موقف المجلس لا تكمن فقط في توقيته المبكر، بل في خلفيته التحليلية. فالمجلس، الذي يضم كنائس من مصر ولبنان وسوريا والأردن وفلسطين والعراق، تعامل مع الصهيونية المسيحية بوصفها امتدادًا ثقافيًا للاستعمار الغربي أكثر منها تعبيرًا أصيلًا عن الإيمان المسيحي. هذا الربط بين اللاهوت والسياسة الاستعمارية منح الخطاب الكنسي بعدا نقديا يتجاوز حدود فلسطين، ويضع الظاهرة ضمن تاريخ أطول من تديين الهيمنة. كما شدد المجلس على أن الصهيونية المسيحية لا تُضعف فقط فرص السلام، بل تُقوض الوجود المسيحي العربي ذاته، لأنها تخلق اصطفافًا دينيًا يُهمِّش المسيحيين المحليين ويجعلهم غرباء في أرضهم. هذا التشخيص المبكر ساعد لاحقًا في بناء خطاب موحد بين كنائس المنطقة، ووفر أرضية فكرية لوثائق لاحقة مثل «إعلان القدس» و«كايروس فلسطين».

إذا كان مجلس كنائس الشرق الأوسط قد مثل الضمير الإقليمي، فإن مجلس الكنائس العالمي – الذي يضم أكثر من 350 كنيسة تمثل مئات الملايين من المسيحيين – وفر المنصة الدولية التي منحت هذا الضمير قوة وتأثيرًا عالميين. منذ مطلع الألفية، أصدر المجلس سلسلة بيانات وتقارير تحذر من استخدام

الكتاب المقدس لتبرير الاحتلال والعنف، وتربط بشكل صريح بين الصهيونية المسيحية وتشويه الرسالة الإنجيلية. اللافت أن المجلس لم يتعامل مع القضية بوصفها نزاعًا سياسيًا خارجيًا، بل بوصفها أزمة لاهوتية داخل المسيحية نفسها، تمس مصداقية الإيمان في عالم متعدد الثقافات والأديان. في بياناته حول الحضور المسيحي في الشرق الأوسط، شدد المجلس على أن دعم أي مشروع سياسي باسم الله، على حساب حقوق شعب آخر، يتناقض مع جوهر الإيمان المسيحي. كما استضاف المجلس مشاورات لاهوتية دولية خُصصت لفهم ظاهرة الصهيونية المسيحية وآثارها السياسية والروحية، وهو ما ساهم في إدخال المصطلح نفسه في الأوساط الأكاديمية والكنسية خارج الشرق الأوسط.

أحد أهم إنجازات هذا المسار المؤسسي هو إعادة تأطير فلسطين داخل الوعي المسيحي العالمي. فبدل أن تُقدّم بوصفها «قضية شرق أوسطية معقدة»، أصبحت تُعرض بوصفها اختبارًا أخلاقيًا لمدى التزام الكنائس بمبادئ العدالة والكرامة الإنسانية. كما أن مجلس الكنائس العالمي، متأثرًا بروح «كايروس فلسطين»، تبنى لغة أكثر وضوحًا في السنوات الأخيرة، لا سيما في بياناته الحديثة التي تؤكد أن الاحتلال يتعارض مع القانون الدولي، وأن الكنائس لا يمكن أن تظل محايدة أخلاقيًا أمام نظام طويل الأمد من السيطرة والتمييز. هذا التحول اللغوي مهم، لأنه يعكس ما يمكن تسميته بانتقال الكنيسة العالمية من دور الوسيط المحايد إلى دور الشاهد الأخلاقي على واحدة من أبشع الجرائم في العصر الحديث.

حدود التأثير وتناقضات الساحة الغربية

رغم ما سبق، لا بد من الإقرار بأن تدويل الخطاب الكنسي لم يؤدِّ تلقائيًا إلى تغيير موازين القوى السياسية. فالكنائس الغربية، خصوصًا في الولايات المتحدة، تعاني من انقسامات حادة، حيث تظل الكنائس الإنجيلية الكبرى خارج الإطار المسكوني لمجلس الكنائس العالمي، وبالتالي أقل تأثرًا ببياناته ومواقفه. لكن رغم هذه الحدود، حقق هذا المسار إنجازًا لا يُستهان به: كسر احتكار الصهيونية المسيحية لتمثيل الصوت المسيحي عالميًا. لم يعد بإمكان هذا التيار الادعاء بأنه الموقف المسيحي، في ظل وجود وثائق ومواقف صادرة عن أوسع تجمع كنسي عالمي تقول العكس صراحة. في المحصلة، نقل كل من مجلس كنائس الشرق الأوسط ومجلس الكنائس العالمي المواجهة مع الصهيونية المسيحية من ساحة محلية محدودة إلى فضاء دولي واسع، حيث أصبحت القضية جزءًا من نقاش عالمي حول العلاقة بين الإيمان والسلطة، والدين والعدالة، والكتاب المقدس وحقوق الإنسان.

المدخل السابع

تعاليم اللاهوت كفعل سياسي-أخلاقي

من الأخطاء الشائعة في قراءة دور الكنائس في الشرق الأوسط افتراض أن مواجهتها للصهيونية المسيحية بقيت حبيسة النصوص والبيانات. الواقع أكثر تعقيدًا. فالكنائس، وهي تدرك محدودية نفوذها السياسي المباشر، طورت مجموعة أدوات عملية تحاول من خلالها تحويل الموقف اللاهوتي إلى تأثير ملموس، دون التحول إلى فاعل حزبي أو الوقوع في استقطابات سياسية مباشرة قد تُفقدها شرعيتها الروحية. أحد أهم المسارات التي سلكتها الكنائس كان ما يمكن تسميته بـ»الدبلوماسية الكنسية الهادئة»، فبدلًا من الاكتفاء بالتصريحات الإعلامية، ركزت القيادات الكنسية في القدس وفلسطين ولبنان ومصر على بناء قنوات اتصال مباشرة مع كل من الفاتيكان ومؤسساته الدبلوماسية، الكنائس البروتستانتية التاريخية في أوروبا وأمريكا الشمالية، البرلمانات الغربية عبر لجان دينية وحقوقية، ومنظمات أممية وحقوقية ذات طابع أخلاقي. في هذه اللقاءات، لم تُطرح القضية بوصفها نزاعًا سياسيًا، بل بوصفها تشويهًا للدين حين يُستخدم لتبرير الظلم. هذا الأسلوب أثبت فاعلية نسبية، خاصة في الأوساط الكاثوليكية والبروتستانتية الليبرالية، حيث أُعيد النظر في علاقات بعض الكنائس الغربية مع منظمات إنجيلية صهيونية.

كما أدركت الكنائس أن الخطاب النظري وحده لا يكفي في مواجهة سردية قوية مثل الصهيونية المسيحية. لذلك دعمت برامج زيارات لرجال دين غربيين، ولاهوتيين، ونشطاء كنسيين، للاطلاع المباشر على واقع الحياة تحت الاحتلال. هذه الزيارات – التي نظمتها جهات مثل مركز سبيل وشبكات كنسية محلية – لم تكن سياحة تضامنية، بل أداة معرفية تهدف إلى تفكيك الصورة النمطية التي تروج لها الدعاية الدينية الصهيونية. كثير من المشاركين عادوا إلى بلدانهم بخطاب مختلف، وأسهموا لاحقًا في تغيير مواقف مؤسساتهم الكنسية.

ورغم ضعف الموارد الإعلامية مقارنة بالتيارات الإنجيلية الأمريكية، حاولت الكنائس تطوير خطاب إعلامي بديل يقوم على السرد الأخلاقي لا المواجهة الدعائية. فقد ركزت بيانات بطاركة ورؤساء الكنائس

في القدس، على سبيل المثال، في السنوات الأخيرة على توثيق الاعتداءات على بلدات مسيحية وأماكن مقدسة، وربطها بخطاب حقوقي وقانوني واضح. هذا الأسلوب هدف إلى نزع «القداسة التلقائية» التي تُمنح لإسرائيل في الخطاب الديني الغربي، دون الانزلاق إلى لغة شيطنة أو كراهية. وهنا كان الرهان على المصداقية وليس على الضجيج.

وفي سياق متأثر بـ«كايروس فلسطين»، تبنت بعض الكنائس ومنظمات مسكونية فكرة المقاطعة وسحب الاستثمارات بوصفها أدوات ضغط سلمية وأخلاقية، لا عقابية أو انتقامية. هذه الخطوة كانت شديدة الحساسية، لأنها وضعت الكنائس في مواجهة مباشرة مع اتهامات «تسييس الإيمان». لكن المدافعين عن هذا المسار أكدوا أن المقاطعة ليست موقفًا ضد شعب أو ديانة، بل وسيلة أخلاقية تاريخية استخدمتها الكنائس سابقًا، كما في حالة نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. الهدف لم يكن العقاب، بل دفع نحو تغيير سلوك سياسي يتعارض مع العدالة. كما برز مسار تعليمي، هو الأبطأ والأعمق في آن واحد، حيث أدركت الكنائس أن الصهيونية المسيحية تتغذى أساسًا على جهل لاهوتي واسع داخل المجتمعات الغربية. لذلك ركزت الكنائس الرافضة لتوجهات الصهيونية المسيحية على عدد من الخطوات المهمة وهي إدخال قضايا فلسطين والاحتلال في مناهج لاهوتية، دعم أبحاث ودراسات نقدية حول الصهيونية المسيحية، تشجيع قراءة الكتاب المقدس في سياقه التاريخي والأخلاقي. مثل هذا الجهد لا يُنتج نتائج فورية، لكنه يستهدف الجذور، لا الأعراض.

سؤال يتكرر كثيرا: لماذا لم تُصعد الكنائس مواجهتها إلى مستوى العمل السياسي المباشر؟ الجواب يكمن في إدراكها لحدود دورها. فالكنائس تخشى – بحق – أن يؤدي التحول إلى فاعل سياسي حزبي إلى فقدان قدرتها على مخاطبة الضمير، وأن تصبح طرفًا في استقطاب يلتهم أي خطاب أخلاقي. لهذا، اختارت الكنائس مسارًا أصعب: التأثير دون السيطرة، والضغط دون امتلاك أدوات الإكراه، والشهادة دون ضمان النتائج. تُظهر هذه الأدوات أن الكنائس لم تكتفِ برفض الصهيونية المسيحية نظريًا، بل حاولت – ضمن حدودها – تفكيك نفوذها، وكشف تناقضاتها، وخلق فضاء مسيحي بديل يربط الإيمان بالعدالة لا بالهيمنة.

المدخل الثامن

لماذا تبدو المواجهة مع الصهيونية المسيحية غير متكافئة بنيويًا؟

على الرغم من الوضوح اللاهوتي، والثراء الأخلاقي، والشرعية التاريخية التي تتمتع بها الكنائس في الشرق الأوسط، فإن مواجهتها للصهيونية المسيحية ظلت - ولا تزال - مواجهة غير متكافئة على المستويين السياسي والإعلامي. هذا الاختلال لا يعود إلى ضعف الحجة بقدر ما يعود إلى اختلاف طبيعة القوة بين الطرفين: قوة أخلاقية رمزية في مقابل قوة تنظيمية-سياسية صلبة.

	الكنائس الشرقية	الصهيونية المسيحية
القوة	رمزية أخلاقية	تنظيمية مؤسسية
التأثير	شرعية تاريخية ومكانية	إعلام ضخم وتأثير جماهيري
الدعم	عالمي محدود سياسيا	لوبيات سياسية فعالة
الخطاب	معقد وغير شعبي	بسيط تعبوي

أول حدود هذا الدور يتمثل في غياب النفوذ السياسي المباشر. فالكنائس الشرقية، بحكم موقعها الجغرافي والسكاني، لا تمتلك أدوات ضغط داخل مراكز صنع القرار الأمريكية، حيث تتجذر الصهيونية المسيحية داخل التحالف الانتخابي المحافظ. وفي النظام السياسي الأمريكي، تُكافأ القدرة على الحشد الانتخابي والتمويل، لا قوة الخطاب الأخلاقي. وبالتالي، حتى أكثر الوثائق الكنسية تماسكًا لا تجد طريقها بسهولة إلى دوائر صنع القرار.

الحد الثاني هو الفجوة الإعلامية الهائلة. فالصهيونية المسيحية تتحرك داخل منظومة إعلامية ضخمة تشمل قنوات تلفزيونية دينية، منصات رقمية، مؤتمرات جماهيرية، وشخصيات كاريزمية تتحدث بلغة بسيطة وحاسمة. في المقابل، تعتمد الكنائس الشرقية على بيانات مكتوبة، أو مقابلات محدودة الانتشار، أو تقارير حقوقية لا تنافس في قدرتها التعبوية خطابًا دينيًا شعبويًا قائمًا على اليقين والخوف والنبوءة.

أما الحد الثالث فيكمن في طبيعة الخطاب نفسه. فالخطاب الكنسي الشرقي هو خطاب مركب، حذر، أخلاقي، ويميل إلى التمييز والتفكيك. وهو خطاب قوي فكريًا، لكنه ضعيف جماهيريا مقارنة بخطاب ثنائي حاد يقسم العالم إلى «خير مطلق» و«شر مطلق». فتيار الصهيونية المسيحية تقدم إجابات سهلة لعالم معقد، بينما تقدم الكنائس أسئلة أخلاقية مزعجة لا تلقى رواجًا في سياق سياسي يتسم بالاستقطاب.

هناك أيضًا حدود بنيوية داخل المسيحية الغربية نفسها. فمعظم الكنائس الإنجيلية المؤيدة للصهيونية المسيحية تقع خارج الأطر المسكونية التقليدية، ولا تعترف بسلطة مجلس الكنائس العالمي أو الوثائق الصادرة عنه. هذا يعني أن الخطاب الكنسي العالمي، مهما اتسع، لا يصل تلقائيًا إلى القواعد الشعبية التي تشكل العمود الفقري لهذا التيار. يضاف إلى ذلك سلاح الاتهام الجاهز بمعاداة السامية. فعلى الرغم من حرص الكنائس الشرقية الشديد على التمييز بين اليهودية والصهيونية، فإن هذا التمييز غالبًا ما يُهمَّش في النقاش العام الغربي. مجرد نقد سياسات إسرائيل، حين يصدر عن جهة دينية، يُقرأ أحيانًا كعداء ديني، وهو ما يضع الكنائس في موقع دفاعي دائم، ويحدّ من قدرتها على الهجوم الفكري.

من التناقضات الداخلية أيضًا أن الكنائس، وهي تدافع عن العدالة، مضطرة في الوقت نفسه إلى حماية وجودها الهش. فالتصعيد في لغة الخطاب قد ينعكس مباشرة على أوضاع أتباعها، وممتلكاتها، وحريتها

في الحركة والعبادة. فهذا التوازن الدقيق بين الشهادة الأخلاقية والبقاء المادي يفرض سقفا عمليًا لا يمكن تجاوزه بسهولة. ومع ذلك، فإن هذا الضعف الظاهر لا يعني انعدام التأثير. فالكنائس تدرك أن طبيعة دورها طويلة النفس. هي لا تنافس في ساحة القرار السريع، بل في ساحة تتصل بالتاريخ والذاكرة والشرعية. وكثير من التحولات داخل الكنائس الغربية لم تأتِ نتيجة ضغط سياسي مباشر، بل نتيجة تراكم أخلاقي بطيء، جعل دعم الاحتلال باسم الدين موقفًا محرجًا داخل قطاعات مسيحية واسعة.

بهذا المعنى، يمكن القول إن عدم التكافؤ لا يلغي قيمة الدور الكنسي، بل يحدد طبيعته. فالكنائس لا تمتلك قوة الإكراه، لكنها تمتلك قدرة نادرة على نزع الشرعية الأخلاقية عن خطاب يدعي القداسة. وهذه القدرة، وإن بدت محدودة الأثر الآني، قد تكون الأعمق أثرًا على المدى الطويل.

المدخل التاسع

التقييم العام والدلالات المستقبلية

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
ECSS
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

تغيير شروط الشرعية

كيف واجهت الكنائس الشـرقية أفكار الصهيونية المسيحية؟

- نزع الاحتكار الديني عن الصهيونية المسيحية
- فصل نقد إسرائيل عن معاداة السامية
- إدانة الاحتلال بوصفه خطيئة سياسية وروحية
- إدخال مسيحيي الشرق الأوسط إلى السردية العالمية
- إعادة تعريف السلام والعدالة مسيحيًا
- تحويل "فلسطين" إلى اختبار أخلاقي عالمي
- إرساء نموذج يواجه "تديين السياسة"
- إدانة تبرير العنف الديني

ecsstudies
ecss.com.eg

بعد تتبّع المسار التاريخي واللاهوتي والمؤسسي لدور الكنائس في الشرق الأوسط في مواجهة الصهيونية المسيحية، يصبح السؤال الحاسم ليس: هل انتصرت الكنائس؟ بل: ما طبيعة الانتصار الممكن أصلًا في معركة من هذا النوع؟ فالمقارنة هنا ليست بين مشروعين متماثلين في الأدوات أو الأهداف، بل بين قوة أخلاقية-رمزية في الكنائس الشرقية وقوة سياسية-تعبوية متمثلة في تيار الصهيونية المسيحية. وإذا كان معيار النجاح هو إضعاف النفوذ السياسي الصهيونية المسيحية داخل الولايات المتحدة، فالإجابة الواقعية هي أن الكنائس لم تحقق هذا الهدف. التيار لا يزال فاعلًا، مؤثرًا في الكونجرس، ومندمجا في تحالفات انتخابية قوية، ولا يزال قادرًا على تقديم نفسه بوصفه ممثلا لما يمكن تسميته بـ «الصوت المسيحي» في السياسة الخارجية الأمريكية. من هذه الزاوية، تبدو المواجهة غير محسومة، وربما غير قابلة للحسم بالمعنى التقليدي. لكن هذا المعيار ذاته قد يكون مضللًا. فدور الكنائس لم يكن يومًا منافسة على السلطة، بل منافسة على المعنى. وهنا يتغير التقييم جذريًا.

أول إنجاز جوهري حققته الكنائس هو نزع الاحتكار اللاهوتي. قبل تدخل الكنائس الشرقية، كانت الصهيونية المسيحية تتحرك في فراغ أخلاقي، وتُقدَّم في الغرب- خصوصًا في الإعلام الديني- بوصفها التفسير المسيحي «الطبيعي» لدعم إسرائيل. اليوم، لم يعد هذا الادعاء قابلا للتسويق دون مقاومة. توجد وثائق رسمية، مواقف مسكونية، ولاهوت تحرري مكتوب ومنتشر، يقول بوضوح إن هذا التيار يمثل تأويلا سياسيًا منحرفًا، لا إجماعا مسيحيا. الإنجاز الثاني يتمثل في إعادة إدخال مسيحيي الشرق الأوسط إلى السردية العالمية. فقبل هذه المواجهة، كان المسيحي الفلسطيني شبه غائب عن الخيال الديني الغربي. الكنائس، عبر إعلان القدس وكايروس فلسطين ومنابر مجلس الكنائس العالمي، أعادت تعريف المسيحي في الأرض المقدسة بوصفه فاعلًا تاريخيًا، لا مجرد شاهد صامت أو بقايا من تاريخ الوجود التقليدي. هذا التحول المعرفي مهم، لأنه يكسر الأساس النفسي الذي تقوم عليه الصهيونية المسيحية ألا وهو الحديث عن الأرض دون الاكتراث بسكانها الاصليين.

الإنجاز الثالث هو تحويل فلسطين إلى اختبار أخلاقي داخل المسيحية نفسها. فلم تعد القضية مجرد ملف سياسي خارجي، بل مرآة تكشف التناقض بين الإيمان والممارسة. هذا التحول أربك قطاعات واسعة من الكنائس الغربية، وخصوصًا تلك التي كانت تفضل «الحياد المريح». اليوم، بات الصمت نفسه موضع مساءلة لاهوتية.

في المقابل، يجب الاعتراف بحدود هذا الدور بوضوح، دون تبرير أو تجميل. الكنائس لم تنجح في اختراق القاعدة الشعبية الواسعة للصهيونية المسيحية داخل الولايات المتحدة، ولم تُحدث تحولًا جذريًا في مواقف الكنائس الإنجيلية الكبرى. كما أن خطابها- بحكم دقته الأخلاقية- ظل أقل جاذبية جماهيرية من خطاب تعبوي يَعِد باليقين والخلاص السريع. لكن هنا تظهر المفارقة. فما يُضعف الكنائس تعبويًا هو ما يمنحها قوتها التاريخية. فالصهيونية المسيحية، بوصفها خطابًا سياسيًا دينيًا، مرتبطة بلحظة قوة أمريكية معينة، وبسياق ثقافي محدد. أما خطاب الكنائس الشرقية، فهو خطاب ذاكرة طويلة، يستند إلى استمرارية تاريخية وجغرافية لا يمكن محوها بسهولة. من هذه الزاوية، يمكن القول إن الكنائس لم تُسقِط الصهيونية المسيحية، لكنها سحبت عنها البراءة الأخلاقية. لم تعد هذه الظاهرة تمر دون تسمية أو تفكيك. لم تعد مجرد «قراءة بديلة»، بل صارت موضوع نقد علني موثق داخل اللاهوت المسيحي العالمي.

أما الدلالة المستقبلية الأهم، فهي أن الكنائس قد أرست نموذجًا يُحتذى به في مواجهة تديين السياسة. ليس عبر العنف، ولا عبر الحزبية، بل عبر تفكيك المعنى، وإعادة وصل الإيمان بقيمة العدالة. هذا النموذج قد لا يحقق انتصارات سريعة، لكنه يبني معيارًا سيبقى حاضرًا كلما حاولت أي قوة- دينية كانت أو سياسية- أن تختطف النص المقدس لصالح مشروع هيمنة.

في النهاية، يمكن تلخيص حصيلة الدور الكنسي في جملة واحدة: لم تُغير الكنائس ميزان القوة، لكنها غيرت شروط الشرعية. وفي صراعات من هذا النوع، قد يكون تغيير شروط الشرعية هو الإنجاز الأعمق، حتى لو تأخر حصاده. لم تكن حرب غزة مجرد انفجار عنيف في صراع طويل، بل تحولت بسرعة إلى لحظة كاشفة داخل المسيحية العالمية نفسها. فالحرب لم تضع الكنائس أمام سؤال سياسي عابر، بل أعادت فتح أسئلة تاريخية عميقة تتعلق بعلاقة الإيمان بالأرض، وبالسلطة، وبالعنف. ما بعد غزة لم يُنتج مواقف جديدة بقدر ما كشف مواقف كامنة، متجذرة في تاريخ كل كنيسة وتجربتها مع القوة والهشاشة.

فلم يكن استدعاء خطاب «كايروس فلسطين» بعد حرب غزة مجرد تذكير بوثيقة صدرت عام 2009، بل تعبيرًا عن انتقال هذا الخطاب إلى مرحلة جديدة من النضج والحدة الأخلاقية. فالحرب، بما كشفته من دمار واسع واستهداف مباشر للمدنيين والبنية الاجتماعية والدينية في غزة، أعادت وضع الكنائس المسيحية أمام ما يمكن توصيفه لاهوتيًا بـ«لحظة كايروس ثانية»؛ أي لحظة لا تحتمل الاكتفاء بلغة النداء

أو التحذير، بل تفرض مساءلة أخلاقية مباشرة للصمت، وللاختباء خلف دعاوى الحياد. في هذا السياق، لم يتم استدعاء كايروس بوصفه وثيقة تاريخية، بل بوصفه معيارًا أخلاقيًا حيًا يُختبر في الحاضر، حيث أصبح السؤال المطروح داخل المسيحية العالمية أقل تعلقًا بتفسير النصوص، وأكثر ارتباطًا بمسئولية الإيمان حين يُستخدم الدين لتبرير العنف أو لتغطية الظلم. هكذا تحوّل كايروس، بعد غزة، من خطاب إصلاحي موجَّه إلى الكنائس الغربية إلى أداة مساءلة تكشف الفجوة بين الإيمان المعلن والممارسة السياسية، وتعيد طرح سؤال جوهري: هل يمكن للمسيحية أن تدّعي الوفاء لرسالتها الأخلاقية وهي تصمت أمام حرب تُشرعن باسم الله أو تُبرَّر بقراءات لاهوتية مغلقة؟

الهوامش والمراجع

مراجع المقدمة

Merkley, P. C. (2001), Christian attitudes toward the State of Israel, McGill-Queen's University Press.

O'Malley, J. W. (2008), What happened at Vatican II, Harvard University Press.

Boyer, P. (1992), When time shall be no more: Prophecy belief in modern American culture, Harvard University Press.

Hummel, D. G. (2019), Covenant brothers: Evangelicals, Jews, and U. S. -Israeli relations, University of Pennsylvania Press.

Spector, S. (2009), Evangelicals and Israel: The story of American Christian Zionism, Oxford University Press.

المدخل الأول

Pelikan, J. (1971–1989), The Christian tradition: A history of the development of doctrine (Vols. 1–5), University of Chicago Press.

MacCulloch, D. (2010), Christianity: The first three thousand years, Penguin Books.

Ateek, N. S. (1989), Justice and only justice: A Palestinian theology of liberation, Orbis Books.

Ateek, N. S. , Duaybis, C. , & Tobin, M. (Eds.). (2005), Challenging Christian Zionism: Theology, politics and the Israel–Palestine conflict, Sabeel Ecumenical Liberation Theology Center.

Sizer, S. (2004), Christian Zionism: Road map to Armageddon?, InterVarsity Press.

Merkley, P. C. (2001), Christian attitudes toward the State of Israel, McGill-Queen's University Press.

المدخل الثاني

Sandeen, E. R. (1970), The roots of fundamentalism: British and American millenarianism, 1800–1930, University of Chicago Press.

Boyer, P. (1992), When time shall be no more: Prophecy belief in modern American culture, Harvard University Press.

Lewis, D. M. (2010), The origins of Christian Zionism: Lord Shaftesbury and evangelical support for a Jewish homeland, Cambridge University Press.

Smith, R. O. (2013), More desired than our owne salvation: The roots of Christian Zionism, Oxford University Press.

Spector, S. (2009), Evangelicals and Israel: The story of American Christian Zionism, Oxford University Press.

Hummel, D. G. (2019), Covenant brothers: Evangelicals, Jews, and U. S. -Israeli relations, University of Pennsylvania Press.

Oxford Research Encyclopedia of Religion. (n. d.), Christian Zionism in the United States, Oxford University Press.

المدخل الثالث

Pelikan, J. (1971–1989), The Christian tradition: A history of the development of doctrine, (Vols. 1–5). University of Chicago Press.

MacCulloch, D. (2010), Christianity: The first three thousand years, Penguin Books.

Ateek, N. S. , Duaybis, C. , & Tobin, M. (Eds.). (2005), Challenging Christian Zionism: Theology, politics and the Israel–Palestine conflict, Sabeel Ecumenical Liberation Theology Center.

Raheb, M. , (2014), Faith in the face of empire: The Bible through Palestinian eyes, Orbis Books.

Quer, G. M. , (2019). Israel and Zionism in the eyes of Palestinian Christian theologians, Religions, 10 (8), 487.

Asad, T. , (2003), Formations of the secular: Christianity, Islam, modernity, Stanford University Press.

Hurd, E. S. , (2015), Beyond religious freedom: The new global politics of religion, Princeton University Press.

المدخل الرابع

Council of Patriarchs and Heads of Churches in Jerusalem. (2006), The Jerusalem Declaration on Christian Zionism (Jerusalem).

Sizer, S. , (2004), Christian Zionism: Road map to Armageddon? InterVarsity Press.

Ateek, N. S. , Duaybis, C. , & Tobin, M. (Eds.) (2005), Challenging Christian Zionism: Theology, politics and the Israel–Palestine conflict, Sabeel Ecumenical Liberation Theology Center.

المدخل الخامس

Kairos Palestine, (2009), A moment of truth: A word of faith, hope, and love from the heart of Palestinian suffering, Bethlehem.

Ateek, N. S. , (1989), Justice and only justice: A Palestinian theology of liberation, Orbis Books.

Ateek, N. S. , Duaybis, C. , & Tobin, M. (Eds.). (2005), Challenging Christian Zionism: Theology, politics and the Israel–Palestine conflict, Sabeel Ecumenical Liberation Theology Center.

Raheb, M. , (2014), Faith in the face of empire: The Bible through Palestinian eyes, Orbis Books.

Isaac, M. , (2014), The other side of the wall: A Palestinian Christian narrative of lament and hope, InterVarsity Press.

Quer, G. M. , (2019), Israel and Zionism in the eyes of Palestinian Christian theologians. Religions, 10 (8), 487.

المدخل السادس

Middle East Council of Churches. (1986), Western fundamentalist Christian Zionism: A challenge to the churches in the Middle East, MECC.

World Council of Churches. (2013), Christian presence and witness in the Middle East, WCC Publications.

World Council of Churches. (2023), Statements on Palestine and Israel. (https://www. oikoumene. org)

المدخل السابع

Kairos Palestine. (2009), A moment of truth: A word of faith, hope, and love from the heart of Palestinian suffering, Bethlehem. https://www. kairospalestine. ps

World Council of Churches (2013), Christian presence and witness in the Middle East, WCC Publications.

World Council of Churches (2023), Statements on Palestine and Israel, https://www. oikoumene. org](https://www. oikoumene. org.

Hurd, E. S. (2015), Beyond religious freedom: The new global politics of religion, Princeton University Press.

المدخل الثامن

Hummel, D. G. (2019), Covenant brothers: Evangelicals, Jews, and U. S. -Israeli relations, University of Pennsylvania Press.

Spector, S. (2009), Evangelicals and Israel: The story of American Christian Zionism, Oxford University Press.

World Council of Churches. (2023), Statements on Palestine and Israel, https://www. oikoumene. org.

Ateek, N. S. , Duaybis, C. , & Tobin, M. (Eds.), (2005), Challenging Christian Zionism: Theology, politics and the Israel–Palestine conflict, Sabeel Ecumenical Liberation Theology Center.

المدخل التاسع

Ateek, N. S. , Duaybis, C. , & Tobin, M. (Eds.). (2005), Challenging Christian Zionism: Theology, politics and the Israel–Palestine conflict, Sabeel Ecumenical Liberation Theology Center.

Kairos Palestine. (2009), A moment of truth: A word of faith, hope, and love from the heart of Palestinian suffering, Bethlehem. https://www. kairospalestine. ps.

orld Council of Churches. (2013), Christian presence and witness in the Middle East, WCC Publications.

Spector, S. (2009), Evangelicals and Israel: The story of American Christian Zionism, Oxford University Press.

Hummel, D. G. (2019), Covenant brothers: Evangelicals, Jews, and U. S. -Israeli relations, University of Pennsylvania Press.

Council of Patriarchs and Heads of Churches in Jerusalem, (2023–2024), Official statements on Gaza, Jerusalem.

World Council of Churches, (2023), Statements on Palestine and Israel, https://www. oikoumene. org.

Holy See, (2023–2024), Addresses and statements of Pope Francis on Gaza, Vatican. va

Holy See, (2024–2025), Addresses on war, civilians, and ethics (Pope Leo XIV), Vatican. va

Kairos Palestine. (2009), A moment of truth: A word of faith, hope, and love from the heart of Palestinian suffering, Bethlehem, https://www. kairospalestine. ps.

لمزيد من القراءة

يمكنكم زيارة مكتبة المركز

مكتبة المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية